



نجيب محفوظ

والاملا

إهداء ٢٠٠٧

**الأستاذ الدكتور / قنري محمود حفني
جمهورية مصر العربية**

نجيب محفوظ

خالد الظلة

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفيحالة"

دار مصر للطباعة
١٠٠ شارع محمد علي

كتب هذه القصص

في الفترة بين أكتوبر وديسمبر ١٩٦٧

الحزب الشيوعي



انعقد السحاب وتكاثف كليل هابط ثم تساقط الرذاذ .
اجتاح الطريق هواء بارد مفعما بشذا الرطوبة . حث المارة
خطاهم غير نفر تجمعوا تحت مظلة المحطة . وأوشكت الرتابة
أن تجمد المنظر لولا أن اندفع رجل . اندفع راكضا كالمجنون
من شارع جانبي واختفى في شارع آخر على الجانب الآخر .
تبعه على الأثر جماعة من الرجال والغلمان وهم يتصايحون
« لص .. أمسكوا اللص » . وما لبثت الضجة أن خفت وريدا
حتى ماتت وتتابع الرذاذ . وخلا الطريق أو كاد أما المتجمعون
تحت المظلة فبعضهم ينتظر الباص والبعض لاذ بها خوف البلل .
وبعثت ضجة المطاردة مرة أخرى وتدادنت في اشتداد وتضخم
ثم ظهر المطاردون وهم يقبضون على اللص ومن حولهم الغلمان
تهلل بأصوات رفيعة حادة . وعند عرض الطريق في المنتصف
حاول اللص الإفلات فأمسكوا به وانهالوا عليه صفعاً ولكما
فمن شدة الضرب قاوم وضرب كيفما اتفق . وشهدت أعين
الواقفين تحت المظلة إلى المعركة .

— يا لها من ضربات قاسية عنيفة !

— ستقع جريمة أشد من السرقة !

— انظروا .. الشرطي واقف في مدخل عمارة يتفرج ..

— بل أدار وجهه إلى الناحية الأخرى ..

واشتد الرذاذ فتواصل أسلاكاً فضية برهة ثم انهمر المطر .
خلا الطريق إلا من المتعاركين والواقفين تحت المظلة . نال
الإغواء من الرجال فكفوا عن تبادل الضربات ولكنهم أحاطوا
باللص . وتبادلوا كلمات غير مسموعة معه وهم يلهثون . ثم
انغمسوا في مناقشة هامة لم يميزها أحد دون مبالاة بالمطر .
التصقت الملابس بأجسادهم ولكنهم واصلوا النقاش بإصرار
وبلا أدنى اكتراث بالمطر . ووشت حركات اللص بحرارة دفاعه
ولكن لم يصدقه أحد . ولوح بذراعيه فكأنما يخطب ولكن
ضاع صوته في البعد . وانهلل بالمطر . إنه بلا شك يخطب .
وها هم يصغون إليه . تطلعوا إليه خرساً تحت المطر . وظلت
أعين الواقفين تحت المظلة مشدودة إليهم .

ب كيف أن الشرطي لا يتحرك !

ب لذلك خطرت فكرة ... أن يكون الحدث منظر تصوير

سينمائي !

ب لكن الضرب كان حقيقياً ..

ب والمناقشة والخطابة تحت المطر ؟ !

شئ طارئ جذب النظر . فمن ناحية الميندان انطلقت
سيارتان في سرعة جنونية . مطاردة حامية فيما بدا . المتقدمة
تطير طيراً والأخرى توشك أن تدركها . وإذا بالمتقدمة تفرمل
بغثة حتى زحفت فوق أديم الأرض فصدمتها الأخرى صدمة
عنيفة مدوية . انقلبتا معاً محدثتين انفجاراً . وسرعان ما اشتعلت

فيهما النيران . وارتفع صراخ وأنين تحت المطر المنهمر . ولكن لم يهرع أحد نحو الحادثة . ولم يكف اللص عن الخطابة . ولم يلتفت أحد من المحدثين به إلى بقايا السيارتين اللتين أدركهما الخراب على بعد أمتار منهم . لم يبالوا بهما كما لا يبالون بالمطر . ولمح الواقفون تحت المظلة آدميا من ضحايا الحادث يزحف ببطء شديد من تحت سيارة ملطخا بالدم . حاول النهوض على أربع ولكنه سقط على وجهه سقطة نهائية .

— كارثة حقيقية بلا أدنى شك .

— الشرطي لا يريد أن يتحرك !

— لا بد من وجود تليفون قريب .

ولكن أحدا لم يبرح مكانه خشية المطر . وقد انهل انهالا مخيفا وقعقع الرعد . وانتهى اللص من خطابه فوقف ينظر إلى مستمعيه بثقة وإطمئنان . وفجأة راح يخلع ملابسه حتى تجرد عاريا . رمى ملابسه فوق خطام السيارتين اللتين ألقا نيرانهما المطر . دار حول نفسه كأنما يستعرض جسمه العاري . تقدم خطوتين وتأخر خطوتين وبدأ يرقص في رشاقة احترافية . وإذا بمطارديه يصفقون له تصفيقات إيقاعية على حين تشابكت أذرع الغلمان وراحوا يدورون من حولهم في دائرة متباعدة . وذهل الواقفون تحت المظلة ولكنهم رغم ذلك استردوا أنفاسهم .

— إن لم يكن منظرا تصويريا فهو الجنون !

— منظر سينمائي بلا ريب وما الشرطي إلا أجدهم ينتظر

دوره .

— وحادث السيارتين ؟

— براعة فنية وسوف نكتشف المخرج فى النهاية وراء
إحدى النوافذ .

فتحت نافذة فى عمارة مواجهة للمحطة محدثة صوتا لافتا
للنظر . لفتت الأنظار رغم التصفيق وانهمار المطر . ظهر بها
رجل كامل الزى فصر صغيرا متقطعا . وفى الحال فتحت نافذة
أخرى فى نفس العمارة فظهرت بها امرأة متأهبة الزينة والملابس
فاستجابت لصغيره بإشارة من رأسها . اختفيا معا عن أنظار
الواقفين تحت المظلة . بعد قليل غادرا العمارة معا . سارا
متشابكى الذراعين بلا مبالاة تحت المطر . وقفا عند السيارتين
المهشمتين . تبادلآ كلمة . أخذا يخلعان ملابسهما حتى تعريا
تماما تحت المطر . استلقت المرأة على الأرض طارحة رأسها فوق
جثة القتيل المنكفىء على وجهه .. ركم الرجل إلى جانبها .. بدأ
غزل رقيق بالأيدى والشفاه . ثم غطاها الرجل بجسده ومضى .
يمارس الحب .. وتواصل الرقص والتصفيق ودوران الغلمان
وانهمار المطر ..

— فضيحة !

— إن يكن تصويرا فهو فضيحة وإن يكن حقيقة فهو
جنون .

— الشرطى يشعل سيجارة ..

واستقبل الطريق شبه الخالى حياة جديدة . جاءت من
الجنوب قافلة من الجمال . يتقدمها حادى ويقودها رجال ونساء .

من البدو . عسكرت على مبعدة قصيرة من حلقة اللص الراقص .
شدت الجمال إلى أسوار البيوت ونصبت الخيام . وتفرقوا
فمنهم من تناول طعامه أو راح يحتسى الشاي أو يدخن وبعضهم
غرق في السمر . ومن الشمال جاءت مجموعة من سيارات
السياحة محملة بالخواجات . توقفت فيما وراء حلقة اللص ثم
غادرها راكبوها من الرجال والنساء فتفرقوا جماعات تستطلع
المكان في نهم دون مبالاة بالرقص أو الحب أو الموت أو المطر .

ثم أقبل عمال بناء كثيرون تتبعهم لوريات مثقلة بالأحجار
والأسمنت وأدوات البناء . وبسرعة مذهلة شيدوا قبرا رائعا ،
وعلى مقربة منه أقاموا من الأحجار سريرا كبيرا ، فغطوه
بالملاءات وزينوا قوائمه بالورود ، كل ذلك تحت المطر . ومضوا
إلى حطام السيارتين فاستخرجوا منه الجثث ، مهشمة الرؤوس
محتركة الأطراف ، وضموا إليها جثة المنكفئ على وجهه من
تحت العاشقين اللذين لم يكفا عن ممارسة الحب ، ثم رصوا
الجثث فوق السرير جنبا إلى جنب . وتحولوا إلى العاشقين
فحملوهما معا وهما لا ينفصلان فأودعوهما القبر ثم سدوا
فوهته وأهالوا عليهما التراب حتى سووها بالأرض . استقلوا
بعد ذلك اللوريات فانطلقت بهم في سرعة عاصفة وهم يهتفون
بكلام لم يميزه أحد .

— كأننا في حلم !

— حلم مخيف ، ويحسن بنا أن نذهب ..

— بل علينا أن ننتظر .

— ماذا ننتظر ؟

— النهاية السعيدة .

— السعيدة ؟ !

— وإلا فبشر المنتج بكارثة !

في أثناء الحديث تربع فوق القبر رجل يرتدى رُوب القضاء .
لم ير أحد من أين أتى . من عند الخواجات أو من عند البدو
أو من حلقة الرقص لم يعرف أحد . بسط صحيفة بين يديه
وراح يتلو نصا كأنما ينطق بحكم . لم يميز كلامه أحد إذ غطى
عليه التصفيق وضوضاء الأصوات بشتى اللغات والمطر . ولكن
كلماته غير المسموعة لم تضع فانتشرت في الطريق حركات
كالأمواج الصاخبة في عنف وتضارب . نشبت معارك في محيط
البدو وأخرى في مواقع الخواجات . واشتعلت معارك بين بدو
وخواجات . وجعل آخرون يرقصون ويغنون . وأقبل كثيرون
حول القبر وراحوا يمارسون الحب عرايا . وأخذت النشوة
اللس فتفنن في رقصه وأبدع . واشتد كل شيء وبلغ غايته .
القتل والرقص والحب والموت والرعد والمطر .

واندس بين الواقفين رجل ضخم . عارى الرأس يرتدى
بنطلونا وبلوفر أسود وييده منظار مكبر . شق مكانه بينهم
بعنف واستهتار . وجعل يراقب الطريق بمنظاره متجولا به بين
الأركان . وتمتم :

— لا بأس .. لا بأس ...

تعلقت به أعين المتجمعين تحت المظلة باهتمام .



— هو ؟

— نعم .. هو المخرج .

وعاد الرجل يخاطب الطريق مغمغماً :

— استمروا بلا خطأ وإلا اضطررنا لإعادة كل شئ من
البدء ..

عند ذاك سأله أحدهم :

— هل سيادتك ..

ولكنه قاطعه بإشارة عدائية وحاسمة فازدرد الرجل بقيه
سؤاله وسكت . ولكن آخر استمد من توتر أعصابه شجاعة
فسأله :

— حضرك المخرج ؟

لم يلتفت إليه وواصل مراقبته . وإذا برأس آدمى يتدحرج
نحو المحطة فيستقر على بعد أذرع منها والدماء تتفجر من
مقطع العنق بغزارة . صرخ الرجال فزعا أما الرجل فحدق
بالرأس ملياً ثم غمغم :

— براقو .. براقو ..

وصاح به رجل :

— ولكنه رأس حقيقى ودم حقيقى ..

فوجه الرجل منظاره نحو رجل وامرأة يمارسان الحب ثم
هتف نافذ الصبر :

— غيرا الوضع .. حذار من الملل ..

ولكن الآخر صاح به :

— ولكنه رأس حقيقى ، فمن فضلك فهمنا .

وآخر قال :

— كلمة واحدة منك تكفى لنعرف من أنت ومن هؤلاء ..

وثالث قال بتوسل :

— لا شىء يمنعك من الكلام !

ورابع تضرع قائلاً :

— يا أستاذ لا تضن علينا براحة البال .

ولكن الأستاذ تراجع فى قفزة مباغتة . كأنما يدارى نفسه خلفهم . ذاب الصلف فى نظرة مترقبة . وتوارت نفخته . كأنما طعن به السن أو تردى فى مرض . رأى المتجمعون تحت المحطة تفرا من الرجال ذوى هيئة رسمية يتجولون غير بعيد من المحطة كأنهم كلاب تشم . واندفع الرجل راكضاً مجنوناً تحت المطر . اتبعه إليه رجل من المتجولين فاندفع أيضاً صوبه يتبعه الآخرون كعاصفة . وسرعان ما اختفوا جميعاً عن الأنظار . مخلفين الطريق للقتل والحب والرقص والمطر .

— يا أَلطاف الله ! لم يكن المخرج كما توهمنا ..

— فمن يكون ؟

— لعله لص ..

— أو مجنون هارب !

— أو لعله ومطارديه ضمن المنظر السينمائى .

— هذه أحداث حقيقية لا علاقة لها بالتمثيل .

— ولكن التمثيل هو الفرض الوحيد الذى يجعلها معقولة على نحو ما .

— لا داعى لاختلاق الفروض ..

— فما تفسيرك لها ؟

— هى حقيقة بصرف النظر ..

— كيف أمكن أن تقع ؟

— هى واقعة .

— يجب أن نذهب بأى ثمن .

— سندعى للشهادة عند التحقيق .

— ثمة أمل باق

قال ذلك واتجه ناحية الشرطى وصاح :

— يا شاويش ..

كرر النداء أربعا حتى اتبه إليه الرجل . قطب متنحنجا

فأشار إليه يستدعيه قائلا :

— من فضلك يا شاويش ..

نظر الشرطى إلى المطر متسخطا ثم حبك المعطف حول

جسمه ومضى نحوهم مسرعا حتى وقف تحت المظلة . تفحصهم

بقسوة متسائلا :

— ما شأنكم ؟

— ألهم تر ما يحدث فى الطريق ؟

لم يحول عينيه عنهم وقال :

— كل من كان فى المحطة استقل سيارته إلا أتم فما شأنكم ؟

— انظر إلى هذا الرأس الآدمي !
— أين بطاقتكم ؟
ومضى يتحقق من شخصياتهم وهو يتسهم ابتسامة ساخرة
قاسية ثم سألهم :
— ماذا وراء اجتماعكم هنا ؟
تبادلوا نظرات إنكار وقال أحدهم :
— لا يعرف أحدنا الآخر !
— كذبة لم تعد تجدى ..
تراجع خطوتين . سدّد نحوهم البندقية . أطلق النار بسرعة
وإحكام . تساقطوا واحداً في إثر الآخر جثثاً هامدة . انظرحت
أجسادهم تحت المظلة أما الرؤوس فتوسدت الطوار تحت المطر .

میں



هذه النخلة الوحيدة في الفناء الترب تذكر بحوش فراقه .
يجرى ذلك في خاطره كلما مر عبر الفناء إلى باب البيت
الخارجي . واعترضه صاحب البيت وهو يرش الأرض
بالخرطوم ، ناداه قائلاً :
- أستاذ .

اللعة . أبغض يوم عنده يوم يصبح على وجهه . عجوز
ناعم ، يفتر فوه أحياناً عن ابتسامة كشق في لحاء شجرة .
- أنت شاب وحيد ولكنك مهذب طيب السمعة ، لا شكوى
من ناحيتك ، فبالله ما معنى الجلسات التي تعقد في شقتك
لتحضير الأرواح ؟ !

- هل أستجوب عما يدور داخل شقتي ؟ .
- نعم ، إذا امتد أثره إلى من حولك ، ثم إن لي حقاً في
مخاطبتك باسم صداقتي القديمة للمرحوم والدك ..
انطبع الامتعاض في صفحة وجهه فقال صاحب البيت :
- لم أرك مرة واحدة في صلاة الجمعة !
- وما دخل ذلك في موضوعنا ؟
- المؤمن لا يهتم بهذه الألاعيب ، هذا ما أعنيه !
ضحك الشاب ضحكة قصيرة وقال :

- ولكن الاهتمام بذلك يعنى الإيمان بالأرواح .
- كلا ، يعنى الشك أولا وأخيرا .
- فغير الحديث فائلا :
- أذكرك بجدار دورة المياه .
- لا تتهرب ، الحق إن هذه الجلسات تحدث بين السكان اضطرابا غير مستحب ..
- أنا لا أرتكب فعلا مخالفا للقانون ، وأرجو أن الجدار ..
- من الأفضل أن نبقى على وفاق .
- ثم قال وهو يدفع بماء الخرطوم إلى بعيد :
- أما عن أى إصلاح فعليك أن تقوم به بنفسك .
- ما أبغض أن يصبح على وجهه يوم العطلة . والطريق شبه خال كشأنه فى بواكير العطلات . وثمة سقيفة من السحاب الثابت تمتد فوق الضاحية . واشتد عليه ثقل رأسه عقب ليلة لم ينم فيها أكثر من ساعتين . فبعد انقضاء حلبة التحضير قال لزميله مدرس التاريخ :
- يطيب الآن الحديث فى المصير ..
- وتقضى الليل دون أن يجنوا من النقاش ثمرة . وقال له صديق ضاحكا وهو يغادر الشقة قبيل الفجر :
- خير حل أن تتزوج !
- وآوى إلى فراشه قلقا ووجهه محبوب يتراءى لعينه . لا ينبغى أن تبقى النخلة وحيدة إلى الأبد . ولم كانت أمه تؤكد له دائما قبيل وفاتها بأيام بأن كل شئ يدعو للحمد ؟ ! . وجد



الكازينو خاليا في تلك الساعة المبكرة . واتخذ مجلسه عند مدخل الحديقة الفاصلة بين الكازينو ومحطة الديزل . حياه الجرسون وجاءه بالجرائد . أعد له مع القهوة سندوتش فول فبعد أن شبع ثقل رأسه أكثر وأكثر حتى عجب أين كان النوم وهو يستجديه في فراشه . وتذكر درس المفعول المطلق الذى سيلقيه غدا صباحا على تلاميذه فتذكر بالتالى زميله مدرس التاريخ ، قرينه في المناقشات الجنونية .

— ولكن ما معنى ذلك ؟

— أنت مدرس عربى ، حسن ، هل عرفت فعلا بلا فاعل .. ؟
— اللغة بحر بلا حدود .

— مات محمد ، محمد فاعل ، ولكن أى فاعل هذا ؟ ! ،
ولذلك فإننى أبحث عما أريد خارج نطاق اللغة ..
وجاء الجرسون لينظف الرخامة فسأله :

— كيف تبرر مطالبتك الزبائن بأثمان الطلبات ؟

ابتسم الرجل ابتسامه المعتاد لهذه الأسئلة الغريبة ، ثم تناول قروشه ومضى . وقال هو لنفسه « إنه يتسم ابتسامه العقلاء ، ومع ذلك فما لم نعرف كل شيء فستظل معرفتنا الأشياء الصغيرة القريبة ناقصة وغير مبررة » . وورنا إلى السحب حتى ابيض كل شيء فى عينيه . ولكن البياض لم يثبت على حال ، لعبت به يد ساحرة ، تميع وتموج ، واستحال لونا معتما بلا شخصية ولا شكل . واختفى قطار الديزل الواقف فى المحطة أو ذاب فى السحاب . وبدافع من رغبته فى الهدوء المطلق مثل بين يدي بوذا

فى الحديقة اليابانية . وسمع صديقه مدرس التاريخ يقول وهو
يشير إلى بوذا « الهدوء والحقيقة والانتصار » ثم أكد قوله
مكررا « الهدوء والحقيقة والهزيمة » . وجمع عزيمته على
المنافسة ولكن أوراق الشجر اهتزت بصرخة حادة . صرخة طفل
أو لعلها صرخة امرأة . وخفق قلبه وانتعش بروح الغزل . وأراد
أن يستشهد ببيت من عمر الخيام ولكن هيهات . وناداه صوت .
التفت نحو مصدره فرأى صديقه الآخر وقد بادره قائلا « خير
حل أن تتزوج » . وأطبق عليه وقع أقدام راكضة . وركض
ليلحق بالديزل فزلت قدمه وتهاوى من فوق الطوار . رباه كيف
اكتظ المكان بهؤلاء الناس ! . عشرات وعشرات وعشرات يقفون
خارج سور الحديقة الصغيرة . وقوة من الشرطة تعسكر فوق
طوار المحطة . حدث تحت السحاب الراكد ؟ . وها هو الجرسون
راجعا من الزحام إلى الكازينو . وقد مال الرجل نحوه قائلا :
— حضرتك رأيت كل شيء طبعا ؟

فقطب متسائلا ومنكرا فى آن فواصل الرجل :

— سوف تدعى فورا إلى المحقق !

— أى محقق يا هذا ؟

— ارتكبت الجريمة فى المحطة على بعد أمتار من مجلسك .

تساءل ذاهلا :

— جريمة ؟ !

— أين كنت يا سيدى ؟ ، جريمة القتل الفظيعة ، ألا تعرف

الآنسة « المولدة » ؟

— المولدة !

— قتلها شاب مجنون الله ينتقم منه ..

تقلص وجهه في ألم وذهول ، وغمغم :

— قتلت .. لا أصدق .. وأين هي ؟

— حملوها إلى المستشفى لإسعافها ولكنها ماتت في الطريق.

— ماتت !

— ألم ترها وهي تقتل على بعد أمتار منك ؟

وبعد صمت عاد يقول :

— كيف لم ترها ، أما أنا فكنت مشغولا في الداخل ثم

خرجنا على صوت الصراخ ، كان الملعون يطاردها وهي تجرى

أمامه حتى طعنها في المكان الذي يقف فيه المحقق ..

— والقاتل ؟

— استطاع الهرب ، حتى الآن على الأقل ، شاب صغير ،

رآه ناظر المحطة وهو يشب فوق السور ويستقل دراجة بخارية ،

ولكن سيقبض عليه عاجلا أو آجلا .

اشتد تقلص وجهه بالألم حتى تقوض في مجلسه . ومضى

الجرسون عنه وهو يقول :

— كيف لم تر الحادثة التي وقعت بين يديك ؟ !

وأقبل شرطى فدعاه إلى لقاء المحقق . قرر أن يركز فكره

المشتت مهما كلفه ذلك من عناء . نظر في ساعته فأدرك أنه نام

ساعة على الأقل . ومضى مع الشرطى وهو يجر رجله . بدأ

السؤال كالعادة بالاسم والسن والعمل .

- متى جلست في الكازينو ؟
- في الساعة صباحا على وجه التقريب .
- ألم تغادر مجلسك طيلة الوقت ؟
- كلا .
- ماذا رأيت ، حدثنا بالتفصيل من فضلك ؟
- لم أر شيئا !
- كيف ؟ ، لقد ارتكبت الجريمة في هذا الموضع ، فكيف لم تر شيئا ؟
- كنت نائما !
- نائما !
- أجب باستحياء :
- نعم .
- لم توقظك المطاردة ؟
- كلا .
- ولا الصراخ ؟
- هز رأسه نفيا وهو يعض على شفته ..
- ولا استغاثتها وهي تناديك باسمك ؟
- تأوه هاتفا :
- اسمي !
- أنجل - لقد نادتك مرارا ورجح الشهود أنها كانت تجري نحوك مستغيثة بك .
- حملق في وجهه بذهول وتمتم في تونس :

— كلا !

هو الواقع .

أغمض عينيه ولم يعد يلقي بالا إلى المحقق أو أسئلته حتى
قال له هذا في ضجر :

— أجب .. عليك أن تجيب ..

— إني في غاية من التعاسة ..

— أكانت ثمة علاقة بينك وبينها ؟

— كلا ..

— ولكنها نادتك باسمك !

— نحن من ضاحية واحدة وتقيم في شارعين متجاورين ..

— شهد شهود بأنهم كثيرا ما رأوكما تقفان متقاربين في
انتظار الديزل ؟

— توافق في المواعيد بحكم العمل ليس إلا ..

— أليس لاستغاثتها بك دلالة ما ؟

— لعلها كانت تشعر بإعجابي بها !

— إذن كانت هناك علاقة من نوع ما .

— ربما ..

ثم بانفعال قاهر :

— كنت أحبها .. كنت أفكر كثيرا في طلب يدها .

— أولم تفعل شيئا في سبيل ذلك ؟

— كلا .. لم أكن اتخذت قرارا بعد .

— ووقعت الواقعة وأنت نائم ؟

أطرق في خزي أليم :

— والآخر .. أعنى القاتل .. أليس لديك فكرة عنه ؟
— كلا .

— ألم تسمع عن علاقة لها بآخر ؟
— كلا .

— ألم تر أحدا يحوم حولها ؟
— كلا .

— هل لديك أقوال أخرى ؟
— كلا .

ما زالت السماء محجوبة وراء سقيفة السحاب الجامد .
وتساقط رذاذ دقيقة واحدة ثم انقطع . هام على وجهه طويلا .

انقضى النهار وهو يهيم على وجهه . كأنما يداوى أزمته
الطاحنة بالحركة المرهقة . وصادفه مدرس التاريخ أمام الحديقة
اليابانية . هز يده مصافحا وهو يقول :

— تعال نجلس سويا ، بى رغبة فى الحديث .
فقال بفتور :

— من غير مؤاخذه لا رغبة لى فى الأحاديث الميتافيزيقية .
مط الرجل بوزه آسفا وتساءل :

— أحق ما يقولون من أن المولدة قتلت أمامك وأنت

نائم ؟

فسأله غاضبا :

— من أدراك بذلك ؟

أجاب بنبرة المعتذر :

— سمعت به عند الخلاق !

— امن العجب ان ينس إنسان متعب ؟ .. وما ذنبه إذا
قامت القيامة في آثناء ذلك ؟

ضحك الزميل وقال ملاطفا :

— لا تغضب ولكنى ام أئن أعلم بالعلاقة بينك وبين
المولدة .

— أى علاقة ! .. أنت مجنون ..

— أعتذر .. أعتذر .. هذا ما سمعتهم يقولونه في دكان
الخلاق ..

مضى في سبيله الذى لا هدف له . اللعنة . ستنتفخ الشائعات
كالمناطيد . ولن ترد قوة الجميلة اليانة إلى الحياة . حسرة
لا دواء لها . واستغاثتها اليائسة ارتطمت بجدار النوم ولكنها
نفذت بطرق سحرية إلى آذان الضاحية . أيتها التعيسة إني
أتعس منك . وقال له بائع السجائر وهو يعطيه العلبة :
— لا بأس عليك يا أستاذ ، البقية في حياتك ..

اللعنة . لا يبدو أن أحدا يجهل الواقعة . وها هم يقدمون
له العزاء مسلمين بداهة بعلاقته بها . ها هى الخطبة تعلن بعد
الوفاة . وربما تمادت الظنون وراء ذلك .

ورماه البدال بنظرة ذات معنى . وما البدال ! .. يخيل
إليه أن الأعين كلها تتبعه . إنه فى الواقع مطارده ، متهم ، مجرم .
إنه مسئول عن الاستغاثة الضائعة لا مفر . وغدا فى المدرسة

تنهال عليه الأسئلة . الجحيم الحقيقي ستندلع نيرانه في حوش المدرسة . تخطط طويلا . تلقى أقوالا كثيرة كلها مثيرة مؤلمة . إنه حديث الضاحية . لا حديث للضاحية إلا الجريمة والنوم . « قبض على القاتل وهو تلميذ بالثانوى » إذن قتلها العبد وجنون العيال . « كان القاتل يحبها ولكنها لم تشجعه » لذلك بدت له دائما رزينة وجادة . « من المؤكد أنها كانت تحب مدرس اللغة العربية » يا للحسرة .. شغل عن إسعادها بجلوسات تحضير الأرواح ومنعه من إنقاذها النوم . « قال فى التحقيق إنه كان نائما ، أليس عجيبا ألا يوقظه الصراخ والمطاردة والاستغاثة » . إنه لعجيب حقا ولكنهم لا يعلمون أنه قضى الليل فى تحضير الأرواح وأحاديث المصير . اعتصر الألم قلبه فتجرعه سما بطيئا . واضطر أخيرا إلى الرجوع إلى البيت وهو كاره . كان المساء يغشى حجاب السحاب بغلالة معتمة . وجد صاحب البيت يقتعد أريكة تحت النخلة الوحيدة . استقبله بلطف وقال :

— تبدو متعبا ، أرجو ألا يكون حديثى معك فى الصباح قد ضايقك ؟

هز رأسه نافيا فخفض الرجل صوته وهو يسأله :

— أحق ما يقال .. ؟

فقاطعه بحدة :

— أجل .. قتلت المولدة على بعد أمتار من مجلسى فى

الكازينو وأنا نائم ، هذه هى المعجزة الثامنة !

— لم أقصد يا بنى أن ..

فقاطعه مرة أخرى :

— ولم أسمع استغاثتها ، وفي قول آخر أنى سمعته ولكنى
تناومت ..

أقبل عليه الرجل معتذرا متأسفا ، وأخذه من ذراعه فأجلسه
إلى جانبه قائلاً :

— كان المرحوم والدك صديقى ، لا تؤاخذنى يا بنى ..
ومضت فترة غير قصيرة فى صمت وحذر . ثم استأذن فى
الانصراف فأوصله الرجل حتى الباب الداخلى . وهناك همس
فى أذنه :

— أكرر الرجاء فيما قلته لك عن جلسات تحضير الأرواح ا
استلقى على الفراش وهو من العناء فى غاية ، ثم غمغم
مغمض العينين :

— ما أحوجنى إلى نوم طويل ، طويل بلا نهاية ..

الف



كثيف الظلام كأنه جدار غليظ لا يمكن أن تخترقه عين .
لا شيء يرى ألبتة . إنهم يجتمعون في عدم . ولا صوت إلا
قرقرة الجوزة . والجوزة تدور حتى تتم دورتها في الظلام فتراجع
إلى المعلم بطريقة ميكانيكية . وكثيرا ما كان المعلم يقول :
— إنى أرى في الظلام ، اعتدت ذلك لطول معاشرة السجون
والخلاء ..

إذن فهو يراهم على حين أنهم لا يرونه ولا يرون شيئا .
وبسبب الظلام يعيش كل منهم في عالم خاص به مغلق الأبواب
عليه . يجيئون من أماكن مختلفة ، متباعدة ومتقاربة ، لا يدرى
أحد عن الآخر شيئا ، يشدهم إلى هذه الحجرة داء واحد .
والمعلم يدعوهم واعداء إياهم بالأمان والستر ، وكلما دعا
أحدهم قال له :

— فى عزبة النخل دارى ، وفى حوشها الخلفى فيما يلى
الحقول شيدت حجرة مرتفعة ، معزولة عن الأرض بلا موصل
يفضى إليها ، ستصعد إليها على سلم خشبى سرعان ما يطرح
تحت أكوام التبن ، فهى حصن لا يتكس ، ولها من الظلام
حولها حصن آخر .

أجل ، ها هم معلقون فى الهواء ، غائصون فى الظلام ، كأنما

يعيشون في الزمن الذي لم تكن الأعين قد خلقت فيه بعد .
وكل يد تلامس اليد المجاورة عند تناول الجوزة ولكن يد من
هى ؟ ، أى شخص وأى هوية ؟ .

ويضحك المعلم ويقول :

— نحن مدينون للظلمة بالسلام الذي ننعم به ، صدقونى
فإئنى رجل مجرب !

لم يتوقع يوما أن يناقشه أحد خشية أن يفضحه صوته
لدى آخر ممن يكفّتهم الظلام . وكان يقول لهم :

— لو تعارفتم على ضوء شمعة لتبادلتهم أحاديث لا نهاية
لها ، ولاحتد الخلاف بينكم ، ولا قلب المجلس جحيما لا يطاق ،
وطالب اللذة لا يحب ذلك أما أنا فأمقته مقتا .

وندت من الظلام همس ضحكات مكتومة فقال :

— أعرف بينكم أناسا مختلفى الأديان والآراء وها أنتم

تمضون وقتا طيبا فى سلام بفضل الظلام والصمت !

ند الهمس من جديد . لعلهم يسخرون كعادتهم ولو فى
سرهم . يا لها من طريقة طريفة لمعالجة التفرقة الدينية والفكرية ! .
يسخرون وهم لا يعرفون للحجرة التى يترددون عليها شكلا
إلا مس الشلت والحصيرة المفروشة بينها ! . وهو يسعل كثيرا
ثم يقول بصوت كالقرقرة :

— إن أحدكم قد يلقي جليسه فى مكان فلا يعرفه ، قد

يكون زميلا فى مصلحة أو عضوا فى أسرة ، قد يريد له الخير
أو يضمم الرغبة فى قتله ، كل ذلك طريف للغاية !

إنهم جميعا غارقون في الإثم . وحامل الإثم جبان ولذلك
فهم يكتمون الضحكات فتضغط وتمط في صوت فحيح زاحف
في الظلمة . ويضحك عاليا ويقول :

— إني أعرفكم جميعا ، الاسم والعمل والمكانة ، أما أنا
فلا يهمني شيء ، لا يكبل الإنسان مثل حرصه المضحك على
حسن السمعة ، وما سر الحرية التي أتمتع بها إلا السجن والخلاء
وسوء السمعة !

يا له من صوت كالقرقرة . ونبرة لا تخلو أبدا من السخرية
والثقة بالنفس . وسوء سمعته جدير بتخويف الناس من مجلسه
لولا دبلوماسيته في معاملة السلطات . وعنده يجد المصاب
ما لا يجد عند غيره من الصنف والطمأنينة . ويقبع في الظلام
محتكرا الكلام والرؤية . ومرة قال ضاحكا :

— إنكم جميعا من السادة ، لكم منزلة تخافون عليها ، أما
الفقراء فلا يخافون على شيء ولذلك فلا مكان لهم عندي ،
ولذلك فهم لا يؤمنون بالظلام والصمت ..

هذا الرجل رغم حقارته ذو مكانة يؤمن بها المصابون
بالأدواء . يتلقون أياديهم بامتنان . ولا ينتشلهم من العدم إلا
عيناه المحطمتان لجدار الظلمة . وهو أحذب مغضون الوجه
قصير القامة ، نيف على السبعين ولكنه ذو حيوية شيطانية .
ويسألهم ضاحكا :

— لم لا تجعلون من حياتكم كلها امتدادا جميلا لهذه
الجلسة ؟

ثم قال وكأنه يجيب على سؤاله :
— ستقولون العمل .. الأسرة .. الواجب .
وضحك ساخرا ثم واصل قائلا :
— لكنه لا شيء حقيقى إلا الظلام والصمت !
وتنقضى فترة طويلة فى صمت ثم يعود قائلا :
— إبنى أسخر منكم بالكلام الفارغ وأتم تسخرون منى
فى قلوبكم بالصمت ، وهذا يعنى أنكم لا تتعلمون ، أما أنا
فقد حققت لنفسى المعجزة ، رغم أنف الدنيا ، فلا أسرة لى ولا
عمل إذ أن الموزع فى الحقيقة لا عمل حقيقى له ، وفى غمرة
الذهول وجريان الأيام على وتيرة واحدة تبدو لى الحياة طويلة
كثيفة مثقلة بالملل فلا أخاف الموت ، من منكم لا يخاف الموت !
وبرغم حقارته ، برغم ما يثيره فى النفوس من سخرية
خرساء ، فقد مس وترا حساسا . ولكن من يصدق أنه لا يخاف
الموت ؟ . ولم إذن بنى هذه الحجرة المعزولة فى الهواء والخلاء ؟
وفى ذات ليلة قال لهم بثقة :
— فى هذه الحجرة خلاصة مركزة لحكمة الحياة .
وكف عن الكلام طويلا . وإذا بالجوزة تتوقف عن الدوران .
ظنوه ينشد شيئا من الراحة بخلاف عادته . وانتظروا فطال بهم
الانتظار فى الصمت والظلام . انتظروا وانتظروا ولكن لم يجد
جديد . استهلكوا قدرتهم على الانتظار . تنحنح بعضهم استحثاثا
له على العمل ولكن دون جدوى . هل نام الرجل ؟ . هل أغمى
عليه ؟ . هل مات ؟ .

وأقربهم إلى موضعه مد يده متحسبا مكانه ثم همس
بقلق :

— ليس الرجل في مكانه !

وألصقهم بالباب قام ليفتحه ولكنه همس في اضطراب :

— الباب مغلق بإحكام .

واضطر أحدهم إلى رفع صوته قائلاً :

— لا بد من وجود نافذة فليفتش عنها كل فيما يليه من
الجدار .

ومضت فترة في التفتيش ثم تتابعت الأصوات :

— لا توجد نافذة .. لا توجد نافذة ..

واستهانوا بالستر فقرروا إشعال أعواد الثقاب ليتبينوا
موقفهم . ولكن أحدا لم يجد علبة ثقابه . علبة السجائر بمكانها
أما الثقاب فلا أثر له ! . لا يمكن أن يقع ذلك مصادفة . سرق
الثقاب ! . ولكن من السارق ولم سرقه ؟ . وماذا يراد بهم ؟ ! .
ونادوا المعلم . نادوه بأصوات غاضبة . نادوه بأصوات رعدية
ولكن لا محيب ، لا محيب على الإطلاق ، ولا صوت .

— أين ومتى ذهب ؟

— من أي منفذ تسلل ؟

— ما معنى اختفائه ؟

— كيف ولم سرق الثقاب ؟

— لعله ذهب لقضاء أمر فدهمه حادث .

— ولم أغلق الباب ؟

— ولم سرق الثقاب ؟

— أهزر وراء ذلك أم شر ؟

— نحن مهددون في الظلام ..

وعادوا ينادون الرجل فترتطم أصواتهم بالجدران الصماء .
بحت حناجرهم ، وكلت قبضاتهم من دق الحيطان . وأطبق عليهم
اليأس في الظلام . ما عسى أن تفعل ؟ هل ننتظر إلى ما لا نهاية ؟ .
نستسلم حتى يتقرر مصيرنا ؟ . وما مصيرنا ؟ . هل جن الرجل ؟ .
استكانوا إلى مقاعدهم فوق الشلت وهم في نهاية من الإعياء .
كانهم جروا شوطا قطع منهم الأنفاس أو خاضوا معركة مزقت
الأوصال . حتى الخوف باخ تحت وطأة التلبد الذي أخلفه
الوهن . وتشاءب شخص بصوت مسموع فجري التثاؤب من فم
إلى فم . وتساءل صوت :

— ترى هل سرقت علب الثقاب وحدها ؟

وفتشت الأيدي الجيوب حتى صاح أحدهم :

— بطاقة الشخصية ! .. لا أثر للبطاقة ..

وتتابعت الأصوات :

— وبطاقتي أيضا ..

— النقود موجودة أما البطاقة فلا أثر لها .

— ما معنى هذا اللغز ؟ !

وأكثر من شخص أراد معاودة النداء فخذله صوته . وعاد
التثاؤب يتردد في نغمة ممطومة مسترخية . ثم ساد في الظلام
صمت ثقيل كأنه النوم أو الموت .



وإذا بصوت يشق الظلام متسائلا في هدوء :
— كيف حالكم ؟

تردد الصوت في الظلام وحده ولكن دون رد فعل فعاد
يتساءل مرتفعا درجات :
— هو .. كيف حالكم ؟

وندت حركة ضعيفة في الظلام أعقبها صوت يقول بنبرة
فازعة للأمل :

— المعلم ! .. من ؟ .. المعلم ؟
واستبقت الأصوات مرددة : المعلم .. المعلم .. فعاد الصوت
يتساءل متهكما :
— كيف حالكم ؟

— تسأل عن حالنا ! .. أنت ! .. أى دعاية سمجة ؟ !
— كيف حالكم ، هذا ما أسأل عنه .
— أين كنت يا رجل ؟
— أنا لم أبرح مكاني ..
— ألا زلت مصرا على العبث بنا ؟

— صدقوني فأنا لم أبرح مكاني طيلة الوقت .
— كذاب .. تحسسنا موضعك فلم نجد لك أثرا .
— لم يحرك أحد منكم ساكنا ..
— أيها المكابر .. لقد ناديناك حتى بحت أصواتنا ودققنا
الجدران حتى كلت أيدينا .

— لم يحرك أحد منكم ساكنا ، صدقوني ، وكنت طيلة الوقت بينكم !

— ما زلت متوهما أنك قادر على العبث بنا !
— صدقوني .. لم أفعل شيئا سوى أن أخذت بطاقتكم وعلب الثقاب ..

— ها أنت تعترف .. كف عن العبث .. لم نكن نعرف أنك نشال ماكر .

— بل أخذتها وأتتم نيام ..

— نيام !

— أجل وأتتم نيام ..

— لم يغمض لأحد منا جفن .

— بل نتمم ساعة كاملة على الأقل أنجزت فيها مهنتي ..

— أنت مطالب بأن تفسر لنا سلوكك الشاذ .

— طيب .. خطر لى أن أقوم بتجربة فذة .. خدرتكم بخلطة

غريبة من ابتكارى ..

— إنك تهذى ..

— ستفقدون ذاكرتكم قبل طلوع الفجر .

— رد إلينا مسروقاتنا وافتح الباب ..

— واستغرقتم فى النوم ساعة كاملة تبعا للخطة ، ثم

استيقظتم ، وتشاءبتم ، وندت عنكم همسات لا معنى لها ، ثم
تكلمت أنا !

— لن يجدى خداعك ..

— نتم ساعه بدليل آنى أخذت ما أردت أخذه منكم
وأنتم لا تشعرون .

— لكننى تحسست مكانك بيدى فلم أجذك .

— لم يكن باستطاعتك أن تحرك يدك .

— ودققنا الجدار وبادينا بأصوات كالرعد ..

— عجزتم عن ذلك كما تعجزون عنه الآن . ولكنكم توهتم
أفعالا لم تخرج فى حقيقتها عن نطاق رءوسكم ، كانت أفعالكم
كالظلام الذى يلفكم لا وجود حقيقى لها ..

— ألا ترى أننا غير مستعدين للهزل ؟

— ستفقدون الذاكرة قبل الفجر ، لن يعرف أحدكم نفسه
فضلا عن الآخرين !
— ألا ترى ..

— لذلك استوليت على بطاقاتكم ، لن يعرف أحدكم نفسه
وهبهات أن يعرفه أحد .

— اغسل رأسك بماء بارد .. أسرع ..

— غدا صباحا لن يوجد منكم أحد ، ستختفون كما اختفت
بطاقاتكم ..

— هل جنت يا رجل ؟

— ليكن ، ماذا جنتم من عقلى ؟ ، فلتجربوا جنونى ،
وسوف أخدر نفسى بابتكارى العجيب ، ومن حسن الحظ أننى
لا أملك بطاقة من الأصل ، فلنشكر للظلام والصمت والملل
أياديها ..

— يا مجنون يا مخرف ..

— ستفقدون القدرة على الكلام كما فقدتم القدرة على الحركة ، سوف ألحق بكم أعدكم بذلك ، انطرحوا جثثا فوق الشلت فغدا سيستقبلكم الخلاء أجسادا فتية مبللة بندى الحقول .
وساد الصمت . لم ينبس أحدهم بكلمة . وترددت أنفاس نوم عميق . وجعل ينقل بصره من واحد لآخر ثم تنهد بارتياح متمتعا :

— مبللة بندى الحقول .

100% 100%



زارنى عثمان بعد غياب طال بسبب خدمة طويلة فى الأقاليم .
تعانفنا بحرارة . تذاكرنا عهدا ماضيا امتد من الطفولة مارا
بالشباب حتى الكهولة . وقد عاد ليشغل وظيفة هامة رئيسية
فى جهاز الأمن عقب انتصارات خطيرة أحرزها فى مطاردة
المجرمين . وبعد أن شرّق بنا الحديث وغرّب سألنى :

— هل ترى رمضان ؟

توقعت هذا السؤال طيلة الحديث . حدثنى قلبى بأنه آت
لا ريب فيه . وأجبت بأمانة :

— أجل ، بين حين وآخر ..

— ما زلتما صديقين ؟

— أجل !

— أليس غريبا أن تظلا صديقين وأنت المربى الفاضل ؟ !
— الأمر لا يخلو من غرابة ولكنها عشرة عشر ، ثم إنه يلقانى
إذا جاء كشخص أليف مستأنس كأنما لا يمت بصلة إلى الشخص
الآخر المثير للفرح ..

— لا أتصور ذلك !

— ولكنها حقيقة ، وعلاقته بى هى العلاقة الإنسانية
الوحيدة فى حياته فلا عجب أن يحرص عليها ..

— قد يدهمك بغدره على غير انتظار .

— لا سبب يدعو إلى ذلك ألبتة ..

تنهد بحزن عميق . وشاركته مشاعره . إنه شقيقه . وهو يمثل نقطة سوداء دامية في حياته وحياة أسرته . نشأ في بيت واحد . نشأنا في حارة واحدة تحت ظل جيرة حميمة .. ولكن رمضان كان دائما ريحا هوجاء تعصف الوجوه بالطين والتراب . وسألنى :

— هل تستطيع أن تهيب لى لقاء معه في بيتك ؟

تفكرت مليا في قلق فعاد يقول بإلحاح :

— لا بد من ذلك ، إني مسئول عن الأمن ، وأنت أدرى

بما في موقفى من حرج ..

— ولكنه .. أعنى ..

— ولكنه يمقتنى ويسىء بى الظن ، غير أنه سيثق فى

كلمتك ..

— أعدك بالسعى إلى تحقيق رغبتك ولكن عدنى بالتزام

الحلم إلى أقصى حد مهما لقيت من استفزاز .

— ليس فى نيتى طبعاً أن أعرض بيتك المنعزل فى الضاحية

الهادئة للفضيحة .. إني أعطيك كلمة شرف وأنت أدرى بقدرتى

على ضبط النفس .

— وقد وعدتك ..

— تبدو غير متحمس ؟

— فعلا ..

— وتراه لقاء عقيما ؟

— أى نعم .

— ولكن لا بد منه ..

— أى نعم .

وتبادلنا نظرة طويلة حزينة . وتلبدت سماؤنا بغيوم الذكريات
المتجهمة . الصداقة الحميمية وقوى الهوس الصبيانى التى انقلبت
مع الزمن شرا كاسرا . وقال بنبرة كئيبة :

— لم أكن أتخيل أنه ستردى إلى هذه الدرجة من
الحضيض !

— ولا أنا ، ولو أن العمر والتجربة ومزاولة التريبة لم تدع
لى مجالا واسعا للدهشة .

— وكم أرقنتى أنباء تدهوره وأنا بعيد عن العاصمة .

— لم يكن فى الوسع صنع شيء .

— لا أشك فى أنك حاولت الإصلاح ما وسعك ذلك !

— طبعا ، ولكن النصيحة تؤجج ناره ، فتجنب الحديث
الشائك .

— واحتفظت بصداقته رغم ذلك ؟

— كان الذى بيننا أعمق من أخوة حميمة ، ثم إن الإنسان
الذى يجىء لمقابلتى إنسان آخر ، طيب المعشر عامر بأجمل
الذكريات ، يفيض بالود قلبه ..

— وكيف تفسر ذلك ؟

— إن الحياة الغادرة لا تخلو من عواطف أمومة !

- ولكنك تعلم أنه وحش قذر وعار إنسانى !
- لن أدافع عن نفسى فإنى صديقه كما أنك شقيقه ..
- لا زلت أعجب كيف أنك لم تقطعه !
- داريت انتسامة كثية وقلت :
- إنه ليس كائنا من جنس آخر غير جنسنا ، الحكاية أنه
- أسير الأهواء التى وفقنا إلى كبجها ..
- هو الفرق بين المدنية والوحشية ..
- إني لا أدافع عن انحرافه ..
- ولذا بالصمت مليا ثم عاد يسأل :
- هل زرت مخبأه فى الجبل ؟
- تساءلت بدورى ضاحكا :
- هل تبدأ التحقيق مهي ؟
- فضحك ضحكة فاترة ولم ينبس فقلت :
- لا أدري شيئا عن هذا المخبأ المزعوم .
- فقال بامتعاض :
- اعتداء ، برمجة ، بلطجة ، مخدرات ، عريضة ، سرقة
- ونهب ، هتك أعراض ..
- أما المبالغات فقد خلقت منه أسطورة ..
- إني أعرفه من المهد ، وأنت كذلك ..
- أى نعم !
- كنا ثلاثة ، وكنا واحدا ..
- أجل ..

— انظر كيف انشق وانحرف ..
— يا للأسف ..
— شرير بطبعه !
— الأفضل أن تقول إن ثمة معاملات صادفته داخل البيت
وأخرى في الطريق .
— لا هذه ولا تلك يمكن أن تبرر هذا المصير الأسود .
— أنا لا أدافع عنه ، ولا جدوى من ذلك ..
نهض وهو يقول إنه آن له أن يذهب ، ذكرني بوعدى ،
ثم ودعنى وانصرف .

* * *

وقلت لرمضان ونحن نحشى الشأى بعد العشاء :
— أحدهم يروم مقابلتك .
حدجنى بنظرة ثاقبة . نظرة ينفذ بها إلى باطن محدثه إذا
تشمم وراء كلماته أمرا . وقال متهمكا :
— إن تكن امرأة فأهلا وسهلا بها ..
وأدركت أنه أدرك فقلت ببساطة :
— إنه رجل ، ومن رجال الأمن .
فقال مقطباً :
— توقعت ذلك مذ علمت بعودته إلى العاصمة .
— هذا يقطع بحسن ظنك به ..
فتقلص وجهه غضبا — وما أسرع انفعالاته — وقال :

— اللعنة ! .. إنه مثال العقل كما يقولون ، ولعله ازداد مع الأيام ثقل ظل ..

— لا شك أن وراء رغبته بواغث ضيبة ..

— منذ المهد وهو يود القضاء على !

— كان يود لك أن تسلك في الدنيا مسلكه ..

— العقل .. الاتزان .. الاعتدال .. النظام .. الاجتهاد ..

الأدب ، إنه رمز الموت في عيني !

يا للذكرى . شد ما تبادلا المقت . وبازدراء متقزز كان عثمان يقول عنه « عاصفة مجنونة .. نزوة بلا ضابط .. ثور هائج معصوب العينين .. مجموعة من الأكاذيب والخرافات » . شد ما تبادلا المقت ولكن من الغريب اننى أحبتهما معا . عثمان كان الرفيق الذى شجعنى على الدرس والخلق والوطنية وأما رمضان فكنت أهرع إليه ليروى ظمأى المكبوت إلى الانطلاق والأسطورة والغابة . وقلت له :

— إنه أخوك على أى حال .

— ماذا يريد منى ؟

— ليس من الصعب أن تتخيل ..

— لعلها مكيدة !

فقلت محتجا :

— كلا .. ألف مرة كلا ..

— العقل يعنى الحكمة والأناية والجبن !

— لك أن ترفض إذا شئت .

— يجب أن يعرف أنني لا أخشاه .

— إذن فلنحدد موعدا ؟

— ولكنى لن أقع كذبا بة ..

— والرأى ؟

— لعله يريد أن ينتقم ؟ !

— لقد انقضى الماضى واختفى وهو اليوم زوج وأب سعيد ..

تذكرت عروس عثمان الأولى التى هربت مع رمضان موقعة
بالأسرة زلزالا . وكيف عاملها بعد معاشرة أسبوع بوحشية حتى
اضطرت إلى الاختفاء مجللة بالعار واليأس . وعدت أقول :

— لقد مضى ذلك وانقضى ا ، ولك أن ترفض إذا شئت ..

فتفكر مليا ثم قال :

— ادعه .. وسوف أحضر متأخرا بعد أن آخذ حذرى ..



وجاءنا رمضان ونحن ندخن فى حجرة المكتب . وقف عثمان
لاستقباله فالتقيا وجها لوجه بعد فراق ربع قرن من الزمان ..
نظرت إليهما باهتمام محموم وقلبي يخفق . تقابلا بوجهين جامدين.
لم يتحركا باختلاجة عاطفية واحدة . وتصافحا مصافحة رسمية
باردة ، وقال عثمان :

— أشكرك على قبول دعوتى ..

وجلس عثمان على مقعده على حين جلس رمضان إلى جانبيه

على الكنية . واقتרכת أن أنصرف ولكنهما أصرا - معا - على استبقائي . وقال عثمان مخاطبا أخاه :

- لا أظنك تجهل السبب الذي دعوتك من أجله .. ؟
قال رمضان يبرود :

- صارحنى بما لديك .

- طيب ، نحن نعمل الآن فى مدينة واحدة ، ويحسن بنا أن نتجنب - ما وسعنا ذلك - وقوع المأساة .
- المأساة ؟ !

. لم يخدع بتجاهله إذ كان على يقين من إدراكه لما يعنيه
ولذلك واصل حديثه قائلا :
- عندى اقتراحان ..

فتساءل رمضان وهو يرمقه بتحد :
- أولهما ؟

- أن تسلم نفسك معلنا توبتك ولعل ذلك يخفف من عقوبتك ..
- وثانيهما ؟

ب أن يتجدد عن طريقى بالوسيلة التى تختارها ..
ضحك رمضان ضحكة هازئة ولأذ بالصمت . انتظر عثمان .
مليا ثم تميم :

- الحق إنى لم أتوقع خيرا !

- إذن فلم دعوتنى ؟

ن لكى أبرىء ذمتى .



قطب رمضان غاضبا وقال :
— طالما رغب كلانا في القضاء على الآخر !
— هذا حق فيما يتعلق بك .
— وفيما يتعلق بك أيضا ولكن كان لك أسلوبك الخاص .
— لا جدوى من الجدل ، والأفضل أن تفكر فيما عرضته عليك .

— لن تظهروا بدليل ضدى ولا شاهد ..
— أنصحك ألا تطمئن إلى ذلك .
— جرب حظك إذا شئت .
— سأجربه بلا أدنى تردد .

بدهتنى حقيقة طريفة . إنهما كانا يقتتلان طيلة العمر ومذ
كانا فى المهد . لم يجد جديد سوى أنهما سيتلاقيان وجهها
لوجه . سيكتشف كلاهما عما قريب أنه كان يقاتل شقيقه أو
جزءا من نفسه .

نهض رمضان قائما . لوح بيده محييا . ومضى عابسا عصبى
الخطوات .

* * *

بدأت المعركة بين الشقيقين عقب ذلك الاجتماع بأيام .
دهمت قوات الأمن جميع الأماكن المشبوهة فى المدينة والجبل
والخلاء . قبض على جميع من ظن أن لهم بالرجل علاقة من
الرجال والنساء . واستجوبوا بعنف فتتبعوا الاعترافات .

وتضاعف عدد المقبوض عليهم بعد أن ثبت أن أعوانه منبثون في أماكن لا حصر لها كالملاهي والأندية والمقاهي والمصالح الحكومية ، حتى أماكن العبادة لم تخل منهم . وتدفقت القوات بكل ثقلها في مطاردة عنيفة جللت المدينة بطابعها الإرهابي فذكرت الناسين بأيام الطوارئ وليالي الغارات . فتشت العيون السيارات والتاكسيات والناقلات . ومسحت الكشافات زوايا الجسور ومنعطفات الطرق والخرابات . وطوقت القوارب الشراعية فوق سطح النيل واقتحمت الخلوات على العاشقين . ومكاملة تليفونية عابثة كانت خليقة بأن تحرك فرقة كاملة من الشرطة وتزلزل عمارة آمنة . وندبة في أنف رجل برىء أو بروز غير عادي في جبهته قد تجر عليه من الويلات ما لم يكن يحلم به . ولم يكن من النادر أن تند عن ركن من الطريق صيحة ، تعقبها أصوات أقدام راكضة ، ثم تنطلق رصاصات . فيخلو الطريق في ثوان . وتنقض على أديمه مطاردة عنيفة لا تنتهي إلى شيء . وأظلت المدينة سحابة قائمة تقطر رعبا .



تابعت أخبار المعركة باهتمام لم أشعر بمثله من قبل . وكنت على يقين من الخسران الشخصي مهما تكن نتيجة المعركة . فلا مفر من أن أفقد أحد أحب رجلين إلى قلبي . وموقف الحياد بينهما لا يهضمه ضميري فلا بد من الانحياز إلى عثمان . غير أن عواطفى تمردت على " واقتلت بمرارة ومزقتنى تمزيقا . فكلما

أحرز رجال الأمن انتصارات حاسمة داخلتنى كآبة وأشفت
من خلو عالمى من رمضان ومرحه وأساطيره ومغامراته فى دنيا
الجنس والتحدى . وكلما فاز الرجل فى مطاردة ونشر الرعب من
حواله وهدد أخاه اتقبض قلبى واستشعرت خوفا من تسلط
قوى الهدم والعريضة وتمكنها من تقويض دعائم الأمن والحضارة .
وانبهم أمرى على نفسى ولم أعد أدرى أى رجل أكون ، ولا
ماذا أروم ، ولا كيف أبلغ التوازن المنشود . هكذا تابعت
أنباء المعركة باهتمام وانفعال وخجل وحيرة .



وانتهت المعركة إلى خاتمتها المحتومة . وطلعت علينا الصحف
ذات صباح بصورة رمضان وقد خر صريعا مضرجا بدمه .
انقضت المطاردة الجهنمية وأيام القلق ولياليه . رنوت إلى
الصورة طويلا حتى شعرت بالدمع يدب فى أعماق عيني .
وحنقت ، امتلأت بالحنق ، ولكنى لم أدر علام أحنق . وازدحمت
مخيلتى بالقوى الكونية المدمرة كالزلازل والبراكين والأعاصير
والشهب والفيضانات والجراثيم . ولم أدر هل أتذكرها على
سبيل التشفى أو لأعرف موضعها بين الخير والشر .

وزارنى عثمان بعد ذلك بأيام . كان كل شىء فى الدنيا قد
انقلب رأسا على عقب . فى دنيائى على الأقل . وبخلاف العهد
وجدت نحوه نفورا مرضيا بذلت قصارى لأروضه وأهذبه .
وشعرت فى ذاتى بعدد من الشخوص تتصارع وتتجاذب بعنف

جنونى . جلسنا على مقعدين متقابلين وهو يطالعنى بنظرة
ثقيلة تنم عن روح ميت . وفصل بيننا صمت غامض لا يريد
أن ينقشع . وأخيرا تملل فى مجلسه قائلاً :

— إرادة الله ولا راد لإرادته ..

فقلت أو قال لسانى بلا وعى :

— إنى أرمل وحيد وقد امتلأ البيت بالأشباح ..

تفحصنى بقلق ثم قال :

— إنك لا تبدو كما عهدتك .. أأنت مريض ؟

— لا أشكو إلا من الأشباح ..

— أنت لا تعنى ما تقول ؟

فقلت وأنا أضحك ضحكة رجل نسى تماماً كيف يسيطر

على نفسه :

— عشت عمرى متوهماً أن سلوكك كان المثل الذى قادنى

إلى طريق النجاح حتى تبوأَت مكانى المرموق فى عالم التربية !

— لعلك تبالغ ..

— فعلاً .. إنى نجحت بفضل هو ، هذه هى الحقيقة !

— هو ؟

— الرجل الذى عبأت قوى الأمن لقتله ..

— حديثك يقلقنى ..

— شبح من الأشباح أكد لى ذلك !

— عزيزى !

— صه .. وقال لى أيضاً إن رمضان انطلق من قاعدة

لا يمكن الدفاع عنها ولكنه اتبع أسلوبا رائعا ، أما نحن — أنا وأنت — فلنا قاعدة لا يمكن الهجوم عليها ولكننا تتبع أسلوبا سمجاً ميتاً ..

— لا أفقه لقولك معنى ..

— من العسير فهم لغة الأشباح ..

— صديقى .. إنك فى حاجة إلى نوم عميق ..

— إنى فى حاجة إلى يقظة مجنونة .. هكذا قالت الأشباح .

— جئتكم بعد أن أضناني الغم ..

— وسقوني جرعات ضخمة من شراب الأعاصير .. وقالوا

لى إن من يهدم مدينة خير ممن يحافظ على جدار قديم ..

ونفضت فجأة ورحلت أتمشى فى الحجرة متوكئا على عصا ،

فهتف بى :

— إنك تعرج ..

فأشرت إلى ركبتى وقلت :

— التهاب أصابنى صباح اليوم المشئوم ..

— زرت طبيبك ؟

— كلا سأجد دوائى عند الأشباح ..

أريد وجهه باليأس فهتفت متشغيا :

— سأبذل التريية والقواعد والطقوس ، ابتعت لوحة وعلبة

ألوان وأقلاما وفرشاة ، سأعمل مصورا ، مصورا أعرج ، وقد

جئت بامرأة عارية كنموذج ..

وأزحت الستار عن باب الحجرة المجاورة فتبدت عارية وهى

تنظر إلينا بهدوء وتحد !. ردد عثمان عينيه بينها وبينى فى
ذهول فصحت ضاحكا :

— لعلك تسأل عما أدرانى بقواعد الرسم وأصوله ؟ ..
حسن ، لن يعرقلنى شيء ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل
شيء ..

ورميت عينيه المحملقتين بنظرة متحدية وقلت بهوس :
— لقد أضعت أيامى فى صحبة العقلاء ، سألهو بالأشياء
العميقة ، سأنصب شراعى فى مهب العاصفة . سأسحق مقتنياتى
وأقذف بها للرياح ، سأعرض عن العقلاء الشرفاء ، وليجرفنى
الدوار ، فليكونوا سعداء نافعين ولأكن مجنونا مخربا وليتقبلنى
الشیطان ، وتسألنى عن القواعد والتقاليد فأقول لك إنه لن
يعرقلنى شيء ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شيء !
ومضيت بعزم نحو الفتاة العارية وأسدت الستار ورائى .

الحاوي خلف الطبق



قالت لى أمى :
— آن لك أن تكون نافعا .
ودست يدها فى جيبها وهى تقول :
— خذ هذا القرش واذهب لتشتري الفول ، لا تلعب فى
الطريق وابتعد عن العربات .
تناولت الطبق ولبست قبقابى وذهبت وأنا أترنم بأغنية .
وجدت زحاما أمام يباع الفول فانتظرت حتى عثرت على منفذ
إلى الطاولة الرخامية وهتفت بصوتى الرفيع :
— بقرش فول يا عم .
سألنى بعجلة :
— فول خالص ، بزيت ، بسمن ؟
لم أجد جوابا فقال لى بخشونة :
— وسع لغيرك .
تراجعت مسحوبا بخجلى وعدت إلى البيت خائبا فصاحت
بى أمى :
— راجع بالطبق فارغا ، دلقت الفول أم ضسيعت القرش
يا شقى ؟
فتساءلت محتجا :

— فول خالص ، بزيت . بسمن ، لم تخبريني !
— يا خيبة ، ماذا تأكل كل صباح ؟
— لا أعرف ..

— خيبة .. خيبة ، قل له فول بزيت ..
مضيت إلى البائع وقلت له :
— بقرش فول بزيت يا عم .
سألني مقطباً نافذ الصبر :

— زيت حار ، زيت طيب ، زيت زيتون ؟
بهت فلم أحر جواباً أيضاً فصاح بي :
— وسع لغيرك ..

رجعت مغیظاً إلى أمي فهتفت داهشة :
— عدت كما ذهبت ، لا فول ولا زيت .
فقلت بغضب :

— زيت حار .. زيت طيب .. زيت زيتون .. لم لم تخبريني ؟
— فول بزيت يعنى فول بزيت حار .
— إيش عرفنى ؟

— أنت خيبة وهو رجل متعب ، قل له فول بزيت حار .
ذهبت مسرعاً وهتفت بالبائع وأنا على مبعدة أمتار من
دكانه :

— فول بزيت حار يا عم .
وقفت ورأسى بحذاء الطاولة الرخامية وأنا ألهث . وكررت
بانتصار :

- فول بزيت حار يا عم .
- دس المغرفة في القدر قائلًا :
- ضع القرش على الرخامة .
- وضعت يدي في جيبى فلم أعر على القرش . فتشت عنه
- بقلق . قلبت الجيب ظهرا لبطن ولكنى لم أجد له أثرا . استرد
- الرجل المغرفة فارغة وهو يقول بقرف :
- ضيعت القرش ، أنت ولد لا يعتمد عليك .
- نظرت فيما تحت قدمى وحوالى وأنا أقول :
- لم أضيعه . كان في جيبى طول الوقت .
- وسع لغيرك وقل يا فتاح يا عليم .
- عدت إلى أمى فارغا فصرخت في وجهى :
- يا خبر اسود ، أنت يا ولد عبيط ؟
- القرش .
- ماله ؟
- ليس في جيبى .
- اشتريت به حلوى ؟
- أبدا والله .
- كيف ضاع ؟
- لا أعرف .
- تقسم على المصحف أنك لم تشتري به شيئا ؟
- نـ . أقسم ..
- جيبك مثقوب ؟

— أبدا .

— ربما تكون أعطيته للبيع في المرة الأولى أو الثانية ؟

— يمكن .

— أأست متأكدا من شيء ؟

— أنا جائع !

ضربت كفا بكف وقالت :

— أمرى الله ، سأعطيك قرشا آخر ولكنى سأخذه من

حصالتك ، وإن عدت بالطبق فارغا سأكسر رقبتك ..

ذهبت جريا وأنا أحلم بفطور لذيذ . وعند المنعطف المنفضى
إلى حارة البيع رأيت حلقة من الصبيان والأطفال وسمعت
تهليل أفراح . ثقلت قدماى وشد قلبى إليهم . على الأقل ألقى
نظرة عابرة . اندسست بينهم ، فإذا بالحاوى يطالعنى . غمرتنى
فرحة مذهلة . نسيت نفسى تماما . استمتعت بكل قوة بالعباب
البيض والأرانب والحبال والثعابين . ولما اقترب الرجل ليجمع
النقود تراجعت هامسا « لا تقود معى » . انقض على متوحشا .
تخلصت منه بصعوبة . جريت ولكمته تشق ظهرى . ولكنى
سعدت لاغاية . وذهبت إلى البيع وأنا أقول :

— بقرش فول بزيت حار يا عم .

جعل ينظر إلى ولا يتحرك فكررت الطلب فسألنى بغيظ :

— هات الطبق ..

— الطبق !. أين الطبق ؟. سقط منى وأنا أجرى ؟ . خطفه

الحاوى ؟ .

— أنت يا ولد عقلك ليس في رأسك !
عدت أفتش في الطريق على الطبق المفقود . وجدت موضع
الحاوى خاليا ولكن أصوات الأطفال دلتنى عليه في حارة
قريبة . درت حول الحلقة لمحنى الحاوى فصاح بى مهددا :
— ادفع أو فاذهب أحسن لك .
فهتفت بياس :
— الطبق !
— أى طبق يا بن الشياطين ؟
— رد إلى الطبق .
— اذهب وإلا جعلتك طعاما للشعابين .

إنه سارق الطبق . ولكنى ابتعدت عن مرمى عينيه اتقاء
لشره . ومن القهر بكيت . وكلما سألتنى مار عما يكيبنى قلت له
« خطف الحاوى الطبق » . وانتبهت من كربى على صوت يقول
« اتفرج يا سلام » . نظرت خلفى فرأيت صندوق الدنيا قائما ،
ورأيت عشرات من الأطفال تهرع إليه . وتتابع وقوف المشاهدين
أمام عيني الصندوق وراح الرجل يشرح الصور بإغراء « عندك
الفارس الهمام ، وست الكل زينة البنات » . جفت دموعى
وتطلعت إلى الصندوق بشغف . نسيت الحاوى تماما والطبق .
لم أستطع مقاومة الإغراء . دفعت القرش ووقفت أمام العين
إلى جانب بنت وقفت أمام الغين الأخرى . تسلسلت أمام ناظرى
صور الحكايات الخلابة . ولما عدت إلى دنيائى كنت فقدت
القرش والطبق ولم يعد للحاوى من أثر ، لم أفكر فيما فقدت

واستغرقتنى صور الفروسية والحب والصراع . نسيت جوعى .
حتى المخاوف التى تتهددنى فى البيت نسيته . تراجعت خطوات
لأستند إلى جدار أثرى كان يوما ما مبنى لبیت المال ومقرا
للقاضى ، واستسلمت بكليتى للأحلام . حلمت طويلا بالفروسية
وزينة البنات والغول . وتكلمت فى حلمى بصوت يسمع ولوحت
بيدى بأكثر من دلالة . وقلت وأنا أدفع بالحربة الخيالية :
— خذ يا غول فى قلبك .

وجاءنى صوت رقيق قائلا :
— ورفع زينة البنات خلفه فوق الحصان !

نظرت إلى يمينى فرأيت الصبية التى زاملتنى فى الفرجة .
تبدت فى فستان متسخ وقبقاب ملون وهى تعبت بضفيرتها
الطويلة . وفى يدها الأخرى حبات بيضاء وحمراء من « براغيث
الست » تستحلبها على مهل . تبادلنا النظر . مال قلبى إليها
فقلت لها :

— نجلس لنستريح .

بدت مستسلمة لاقتراحى فأخذتها من ذراعها ودخلنا من
بوابة الجدار الأثرى فجلسنا على درجة من سلمه الذى لا يفضى
إلى شيء . سلم يرتفع درجات حتى ينتهى إلى بسطة تلوح
وراءها السماء الزرقاء والمآذن . جلسنا صامتين جنبا إلى جنب :
قبضت على يدها وجلسنا صامتين لا ندرى ماذا نقول .
وتناوبتنى مشاعر غريبة وجديدة ومبهمة . قربت وجهى من
وجهها فشمنت رائحة شعرها الطبيعية تخالطها رائحة ترابية



وعبير أنفاس ممزوج بشذا الحلوى . قبلت شفتيها . ازدردت
ريقى الذى اقتبس مذاقا حلوا من ذوب براغيث الست . أحطتها
بذراعى دون أن تنبس بكلمة ، وأقبل خدها وشفتيها ، فتسكن
شفتها عند تلقى القبلة ثم تعودان لاستحلاب الحلوى . وقررت
أخيرا أن تقوم . قبضت على ذراعها بجزع وأنا أقول :

— اجلسى .

فقلت ببساطة :

— أنا ذاهبة .

فسألتها بضيق :

— إلى أين ؟

— إلى أم على الداية .

وأشارت إلى بيت يقيم فى أسفله كواء بلدى .

— لماذا ؟

— لأقول لها أن تأتى بسرعة .

— لماذا ؟

— أمى تصرخ فى البيت ، قالت لى اذهبنى إلى أم على الداية

وقولى لها أن تأتى بسرعة ..

— وستعودين بعد ذلك ؟

فهزت رأسها بالإيجاب وذهبت . تذكرت بذكر أمها أمى .

اتقبض قلبى . غادرت السلم الأثرى عائدا إلى البيت . بكيت

بصوت مرتفع وهى طريقة مجربة أدافع بها عن نفسى . توقعت أن

تجيئنى ولكنها لم تأت . تنقلت بين المطبخ وحجرة النوم فلم

أعثر لها على أثر . أين ذهبت الأم ؟ . ومتى ترجع ؟ . وضقت
بالبيت الخالي . وخطر لى خاطر طيب . أخذت من المطبخ طبقا
ومن حصالتي قرشا وذهبت من فوري إلى بيع الفول . وجدته
نائما على أريكة أمام الدكان مغطيا وجهه بذراعه . اختفت
قدر الفول وأعيدت قوارير الزيت إلى الرف وغسلت الرخامة ،
اقتربت منه هامسا :

— يا عم ..

فلم أسمع إلا شخيره . لمست كتفه فرفع ذراعه فى انزعاج
وطالعى بعينين حمراوين :

— يا عم ..

اتبه إلى وجودى وعرفنى فسألنى بخشونة :

— ماذا تريد ؟

— بقرش فول بزيت حار ..

— هه ؟

— معى القرش ومعى الطبق .

صرخ فى وجهى :

— أنت مجنون يا ولد ، اذهب وإلا كسرت دماغك .

ولما لم أتحرك دفعنى بيده دفعة قوية ألقتنى متقهقرا على

ظهري . نهضت متألما وأنا أقاوم البكاء الذى يلوى شفتى .

ويداى قابضتان إحداهما على الطبق والأخرى على القرش .

رمىته بنظرة غاضبة . فكرت فى عودة خائبة يائسة ، ولكن أحلام

الفروسية عدلت من خطتى . صممت واتخذت قرارا سريعا .

وبكل قوة ساعدى رميته بالطبق . طار الطبق فأصاب رأسه .
ركضت بسرعة لا ألوى على شيء . وملأنى اليقين بأننى قتلته
كما قتل الفارس الغول . ولم أتوقف عن الجرى إلا على مقربة
من الجدار الأثرى . نظرت خلفى وأنا ألهث فلم أر أثرا لمطاردة .
وقفت حتى تمالكت أنفاسى ثم ساءلت نفسى ما العمل وقد ضاع
الطبق الثانى . وشيء حذرنى من العودة المباشرة إلى البيت .
وما لبثت أن استسلمت إلى موجة من الاستهانة تحملنى إلى
حيث تشاء . هى علة لا أكثر ولا أقل وسيأناها لدى العودة ،
فلتؤجل العودة إلى حينها . وها هو القرش فى يدى ، ويمكن أن
أحظى بمتعة لا بأس بها قبل العقاب . قررت أن أتناسى جريمتى
ولكن أين الحاوى ، وأين صندوق الدنيا . فتشت عنهما هنا
وهنا بلا ثمرة . أرهقنى البحث العقيم فمضيت إلى السلم
الأثرى وراء الميعاد . جلست أنتظر وأتخيل اللقاء . تأقت نفسى
إلى قبلة أخرى معبقة بشذا الحلوى . واعترفت فيما بينى وبين
نفسى بأن الصبية وهبتنى مشاعر لم أجرب أطيب منها من قبل .
وفيما أنتظر وأحلم ترامى إلى همس من الجهة الخلفية . رقيت
فى الدرج بحذر وعند البسطة الأخيرة انبطحت على وجهى لأرى
ما وراءها دون أن يلمحنى أحد . رأيت خراية مطوقة بسور
عال ، وهى آخر ما بقى من بيت المال ومقبر قاضى القضاة .
وتحت السلم مباشرة جلس رجل وامرأة . هما مصدر الهمس ،
أما هو فأشبه بالمتشردين ، وأما هى ففجرية ممن يرعين الأغنام .
صوت باطنى مريب قال لى بأنهما يجتمعان فى « ميعاد » كالذى

جاء بى . بذلك تنطق الشفاه والنظرات والأعين ولكنهما على
خبرة مدهشة ويفعلان أموراً لا يحيط بها الخيال . شد بصرى
إليهما مشدوها فى استطلاع ودهشة ولذة ولم يخل من انزعاج .
وجلسا أخيراً جنباً إلى جنب . لم يعد يهتم أحدهما بالآخر .
وبعد فترة ليست بالقصيرة قال الرجل :

— النقود !

فقلت بضيق :

— أنت لا تشبع .

بصق على الأرض ثم قال :

— أنت مجنونة .

— أنت لص ..

بظهر يده لطمها لكمة قوية . قبضت حفنة تراب وقذفتها فى
وجهه . انقض عليها بوجه مغبر فأثشب أصابعه فى زمارة رقبته .
بدأ صراع جهنمى مرير . ركزت قواها عبثاً لتخليص رقبته من
يده ، احتبس صوتها ، جحظت عيناها ، ضربت بقدميها الهواء .
حملت فزعا أخرس حتى رأيت خيطاً من الدم يتسلسل من
أنفها . فرت من فمى صرخة . زحفت إلى الورا قبل أن يرفع
الرجل رأسه . هبطت السلم وثبا وعدوت كالمجنون إلى حيث
تحملنى قدماى . لم أتوقف عن العدو حتى انقطعت منى
الأنفاس . جعلت ألث دون أن أرى شيئاً مما حولى . ولما اتبعت
إلى نفسى وجدتنى تحت قبو مرتفع يتوسط مفترق طرق . لم
تطأه قدماى من قبل ولا فكرة لى عن موقعه بالنسبة لحيثنا .

وكان يقتعد جانبيه شحاذون لا يبصرون ، ويعبره في شتى
نواحيه أناس لا يلتفتون إلى أحد . أدركت بخوف أنني ضللت
الطريق ، وأن متاعب لا حصر لها تتربص بي حتى أهتدي إلى
سبيلي . هل ألتجأ إلى أحد المارة لأسترشد به ؟ . ولكن ما العمل
لو ساقني الحظ إلى رجل كبيع الفول أو متشرد الخرابة ؟ .
هل تقع معجزة فأرى أُمي مقبلة فأهرع إليها بكل قلبي ؟ . هل
أجرب السير وحدي فأتخبط حتى أعثر على أثر أستدل به على
طريقي ؟ .

وقلت إن عليّ أن أحزم أمري ، بسرعة ودون تردد ، فقد
أخذ النهار يولي ، واما قليل سيهبط الظلام من مجاهله .

مَدِينَةُ الْمَدِينِ



الأديب

ها هي السيارة تنطلق والقاهرة تبتعد . تطايرت الهموم
وخفتت القلوب في طريق السويس . وقال في صوت حنون :
- لن نفرق زهاء أسبوعين ، كم تمضي أيام طويلة دون أن
يرى أحدا منا الآخر ..

أحدثت بنا لانهائية الصحراء من الجانبين فأهدت إلينا هواء
منعشا رغم حرارة يوليو . وصلنا إلى ميناء الأديبة مع المساء .
تعلقت أعيننا بالسفينة الراسية عند الشاطئ حينما تم أخذنا
سبيلنا بين صفوف من الجند وأكوام من المون والدخيرة . مضى
بنا مرشد إلى مركز التشهيلات . تم التعارف بيننا وبين الضابط
ثم جلسنا ننتظر . إنه ليس بضابط ، كلا ، إنه دوامة مكهربة .
يحرك الجنود والموظفين بأصابعه العشرة وبحاجبيه وأنفه وشفتيه
ويتكلم من خلال عشرة تليفونات . وكلما مر بنا بصره تفحصنا
باسمها وهز رأسه هزة تدعو للتساؤل والفضول . آلو .. ليتقدم
حملة صناديق الدخيرة ، يا عم حسنين أنت مسئول عن توصيل
البطاطس .. هات الساركى ، اسمعنى يا يسرى السطح الأمامى
من الدور الأول للسرية الثالثة ، عليوة راجعت شهادات
التطعيم ؟ ، مرحبا بضيوفنا الأدباء مرحبا .. سمعت عبد الوهاب

وهو يغنى قصيدتك يا أستاذ ، اتهمتم من التيفود ؟ ..
والكوليرا ؟ .. آلو .. انتهى التطعيم ؟ ، أما مقالاتك أنت
يا أستاذ فهي السحر الحلال - آلو .. أرسل شخصا لتطعيم
الأدباء ..

- تم تطعيمنا ضد الكوليرا والجدرى !
- والتيفود ؟
- أكدوا فى البلدية ألا ضرورة لذلك .
- التيفود مهم جدا .. دعونى أتصرف فأنا منذ الساعة
مستول عن الحركة الأدبية فى مصر ..
- ولكنكم تعطون الحقن بطريقة عسكرية .. أعنى ..
- يا رب السماوات !.. أ يخاف من الحقن أصحاب « البيداء
تعرفنى » و « علو فى الحياة وفى الممات » ؟ !
- استسلمنا . اجتزنا فترة عصيبة لم تخل من تأوهات . ولما
انتهى التطعيم قال :
- اتهمنا من الكوليرا والجدرى والتيفود ..
- ثم وهو يتصفح وجوهنا بنظرة غامضة :
- أما بقية الحميات هناك فلم يكشف الطب سرها بعد ..
- تبادلنا نظرات ارتياح وتوجس على حين انصرف عنا فى غير
مبالاة . وجرى التهامس بيننا فى إشفاق :
- ب أحق ما يقول ؟
- يبدو الأمر جدا .
- إذن فما معنى هذه الرحلة ؟

— لننفع بالأحداث .

— أليس من الأسلم أن ننفعل في القاهرة ؟

— وهؤلاء الجنود أليسوا بشرا مثلنا ؟

— ولكنهم جنود !

— لعله يمازحنا ..

وإذا به يلتفت نحونا هاتفا :

— ستنفعلون أولا وقبل كل شيء بالحميات المجهولة !

وضحكنا طويلا . ضحكنا وكأننا تتسول تكذيب الظنون .

ضحكات هي الأصوات المسموعة للقلق المتطاحن في أعماقنا .

ولكنه استقبل هدنة راحة في زحمة العمل فرمقنا بنظرة جادة

حقيقية لأول مرة . جادة وودودة . ثم قال بنبرة أخوية :

— أهلا بكم ، فرصة طيبة وسعيدة ، وهنيئا لكم زيارة بلد

شقيق ثائر ، ستجدون له مذاقا خاصا وجمالا ذا سحر غير

منكور ، فاذهبوا بسلام آمنين ..

شددنا على يده بامتنان وذهبنا وراء حقائبنا المحمولة إلى

السفينة . ودعانا القبطان إلى العشاء . وطيلة الوقت ترامى إلينا

غناء الجنود من سطح السفينة الأمامي . ودار حديث عن ميعاد

الإبحار والجو . وأعلننا الرجل الكريم الطريف بأننا سنكون

ضيوفه طوال الرحلة .

وفي أثناء ذلك اختفى من الصحف الدجاج والشماء

والملوخية والبطاطس والسلطة الخضراء والمش والبطيخ .

ودعانا إلى قضاء السهرة في جناحه المطل على البحر ثم مضى إلى

عمله . أطفأنا المصباح واهبين الليل أنفسنا . أنعشنا شراب
البرتقال ونسمة معبقة بجو الميناء . وما زالت أغنية تتردد متهادية
إلينا من معسكر الجنود فوق مقدم السفينة .

— ترى فيم يفكرون حول بنادقهم ؟

— الحرب .. إنها الحرب ..

— أقدم حرفة في الوجود .

— لكنها تنشب هذه المرة في سبيل التحرير والحرية .

— إنها الحرب ، وهي ككل حدث خطير تدفعنا إلى مواجهة

لغز الوجود ، وجها لوجه ..

وتذوقنا حيناً النسمة الملائمة . استسلمنا بكل قوانا للحظة

طيبة خالية من الكدر ، ثم تفرق الحديث واختلف كأنما يدور

بين أجيال . وأوشك أن يستقل كل اثنين بفكرة ما .

— ستكون الحرب القادمة خاتمة الحروب !

— ولكن هل تستمر الحضارة بلا حروب ؟

* * *

— الحق إن العالم مقبل على عصر عليه أن يخلق فيه كل

شيء من جديد .

— وربما وجد أن عليه أن يعتاد الحياة بلا معنى ولا آمال

كبيرة !

* * *

— أظنه بسكال الذى قال إتنا مبحرون في هذا العالم ، ليس

لنا خيار في أمر السفر فلم يبق لنا سوى اختيار السفينة ..

— ولكن كيف نضار سفينة مناسبة إذا لم يكن لدينا فكرة
عن الرحلة ؟

الأفكار مغلقة ولكن الأصوات راضية تند عنها غبطة
المستمتع بعشاء لذيذ وشراب منعش . والغناء لا يتوقف ، يحمل
إلينا أنغام حماس وحنين . وثمة تساؤلات عما ينتظرنا هناك عند
المأكل والمشرب والنام . ومخاوف أوشكت أن تنضخم لولا أن
ارتفع صوت قائلا :

— ما هي إلا أيام ثم تنقضي بسلام ، دعونا نشارك الجنود
حياتهم ولو بدون قتال ..

شعرت برغبة في الحركة . غادرت جناح القبطان إلى السطح
ماضيا حتى الشرفة المطلة على مقدم السفينة . رأيت الجنود على
ضوء الكلوبات ما بين مستلقين وواقفين وجالسين . جال بصرى
بينهم في وجد وانفعال . اجتأحني طوفان من الذكريات الوطنية،
حماسية وأليمة على السواء ، لكنه طوفان حمل في النهاية هذه
السفينة ، التي تحمل بدورها هؤلاء الجنود ، ثملة بنشوة النصر
والأمل ، ملوحة براية الأخوة والكرامة ، فأيقنت أن تاريخنا
الطويل المثلث بأحلك الذكريات يتكشف عن صفحة جديدة
بيضاء . وخبل إلى أن اسمي يتردد في نداء صاعد من بين أمواج
الغناء . ^{١٧} أجل إن صوتا يناديني . تحرك رأسي هنا
وهناك حتى رأيت جنديا يشق طريقه نحو أسفل الشرفة ملوحا
بيده . أمتعنت النظر بدهشة . تذكرته . انحنيت من فوق السور
في غاية من الابتهاج . لوح لى بيده تحية فلوحت له يدي .

الجندي

دعنتني للجلوس فجلست . توفقت عن الكتابة على الآلة
الكاتبة وقالت لي بمجاملة :

— شكك ظريف في البدلة العسكرية .

نصحتني السرور ، رجب بي الزملاء القدماء في الإدارة .
على مكتبي السابق المجاور لمكتب خطيبي جلس شاب جديد
هو الذي حل محلي بعد تجنيدي ، سألتني :

— هل اعتدت الآن الهبوط بالباراشوت ؟

همست في أذنها :

— عندما أقذف بنفسي أبسمل وأتذكر وجهك فيتم الهبوط
على أحسن حال .

وناقشنا بعض المشكلات التي تلابس زواجنا كالأثاث
والمسكن فاتفقنا على الإقامة « مدة » في بيت والديها وبذلك
نؤجل مشكلة المسكن ونكتفي بتأثيث حجرة واحدة . وتركناها
واعدا بزيارتها في القريب في بيتها . مضيت من فوري إلى
الشكنة بمنشية البكري . ولم أكد أمكث ساعة هناك حتى
صدرت أوامر بتجهيز شدة سفريات الميدان . تجمعا في الحال .
سألت جاري عما هنالك فقال لي علمي علمك . اصطفت سريتنا
الثالثة . وزعت علينا البنادق . انتقلنا إلى السيارات فانطلقت بنا

إلى هايكسب . كان ثمة قطار فى انتظارنا ، وثمة حركة نشيطة
لنقل الذخيرة . هسست فى أذن صاحبى :

— اليمن !

هز رأسه فخيل إلى أنه يوافقنى على رأى . تحرك القطار .
اجتاحنى شعور بالغربة والحيرة . لم أودع خطيبتى ولم أودع
أمى . منذ عام كنت موظفا ، مجرد موظف على مكتب . وبفضل
شبابى وصحتى أحببت وخطبت ثم جندت . ها هو القطار
يحملنا إلى الميدان . سنهبط من الطيارات إلى ميدان حرب
حقيقية . لا تمرين ولا مناورة . يوم دعيت إلى التجنيد قال لى
رئيس السكرتارية « ها أنت ذاهب .. وها هو تدريبنا لك
يضيع فى الهواء .. ساء حظ الرئيس الذى يوظف شابا قبل
تجنيدده بعد اليوم » . كنت موضع ثقته وكنت بذلك فخورا .
أنا طول عمرى من المتوكلين على الله المعتمدين على دعاء
الوالدين . والحب عجيب كالقدر نفسه فذات يوم عهد إلى
بتدريب موظفة جديدة . لم تكن أول فتاة أدر بها فى السكرتارية
ولكنها كانت الأولى فى حياتى .

ساءلت زميلى مرة أخرى :

— اليمن .. أليس كذلك ؟

— أظن ذلك .

— متى نعرف ؟

— كل آت قريب .

إذن هى الحرب . كما فراها أحيانا على شاشة السينما .

وحتى نى .اسينما لم أشاهد معركة باراشوت إذ أننى أفضل
عادة .فلامنا الغنايه . كانت الأولى فى حياتى فلم أعرف الحب
قبلها بصفه جدية وفلت لها عليك بالانتباه فإن رئيس الفلم
يمزق أى خطاب لأقل هفوة !. ما أحلى ارتباكها إذا ارتبكت .
ما أجمل نظرتها وهى ترنو إلى مدربها . وهى تستهديه المعونة
والثقة فيهدى إليها قلبه ومستقبله . .

وقال زميلى :

— القطار يهدىء من سرعته . ستعرف كل شىء ..
وقف القطار . أكثر من صوت ردد اسم الأديبة . أجل ..
أجل . غادرنا القطار . انتظمتنا الصف . سرنا إلى الميناء . جرى
تطعمينا ضد الكوليرا والجدرى والتيفود . وكل حمل لوازمه
ومضى نحو سفينة راسية بالميناء . تناولنا العشاء . أناس
استغرقهم النوم وآخرون راحوا يغنون . الحق إننى لم أركب
سفينة من قبل . لا فى البحر ولا فى النيل . بل إننى لم أرى البحر
قط . ولم استطع أن أرى منه شيئاً فى الظلام .

— أين الأمواج التى يقال إنها كالجبال ؟

— نحن فى الميناء يا رجل يا طيب ..

لفحنى هواء لطيف فملأت صدرى ثم سألته :

— وماذا تعرف عن دوار البحر ؟

فسألنى بدوره :

— لماذا لا تغنى مع من يغنون ؟

تمشيت مستطلعا . لاحت منى نظرة إلى أعلى . رأيت على

ضوء كلوب وجها ينظر إلى أو بدا كذلك . من ؟ ! ، أستاذى
القديم . أستاذى بمدرسة مكارم الأخلاق الإعدادية بشبرا .
هو دون غيره . ترى ماذا جاء به إلى سفينتنا . وجعلت أنادى
وألوح ييدى وأنا أشق طريقى بين البنادق والنيام . وأخيرا
عرفنى فلوح لى بيده . التقينا عند منتصف السلم تماما
فتصافحنا بحرارة .

— أنت جندى ؟ .. ما تصورت ذلك .

— جندى منذ عام فتركت وظيفتى إلى حين .

— متزوج ؟

— كلا ولكنى خاطب .

— مبارك (ثم وهو يتفحص ملابسى) لا أعرف لغة
ملابسكم .

— من قوة المظلات يا فندم .

— فرصة طيبة ، أتمنى لك حظا سعيدا .

— وماذا جاء بك يا أستاذى ؟

— رحلة .. زيارة .. فى ضيافة الجيش .

— أهلا أهلا .. إنى أقرأ مقالاتك .. هل تركت التعليم ؟

— نعم .

وتصافحنا مرة أخرى وهو يقول :

— أرجو أن أراك كثيرا .

انفصلنا . عدت إلى مقدم السفينة وصعد إلى السطح .

الأديب

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدية .
 تهادت سفينتنا في الممر المائي الذي شقه الروس في الصخر .
 عقب رحلة طويلة أذابتنا فيها الحرارة وأنهكتنا الأحاديث .
 فوق سطح بحر كظيم صامت ، تحت سماء باهتة تترامى في
 الآفاق بلا تعبير ، بين جماعات متواثبة من الدراويل . لا تسلية
 لنا إلا الكلام والسجائر والذكريات ولا عمل لنا إلا الاستحمام
 وتجفيف العرق .

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدية .

تطلعنا بشغف نحو الأرض التي ظلت دهرا طويلا متقوقعة ،
 حتى ثارت ثورتها فحطمت القشرة الصلبة التي تحبسها فيما
 وراء التاريخ .

— تذكروا أن وطننا تلقى موجات في أثر موجات من
 مهاجري هذا البلد !

— لا يبعد أن نصادف أجدادا وأصولا ونحن لا ندرى .
 قلبت وجهي في مجموعتنا فرأيت وجوها تشي بأكثر من

أصل تتراوح جذورها ما بين البلقان والسودان مارة بالشام
ومصر . قلت لنفسي إن أضمن وأعرق أصل للإنسان هو الأرض .

* * *

استقبلنا مندوباً القيادتين العربية واليمنية . انتقلنا إلى
مركز قائد الميناء حيث قدمت لنا المرطبات . قائد فخم كتمثال ،
وطراز من الرجال يضيف أصلاً جديداً إلى مجموعاتنا المتعددة
الأصول . دعانا لمشاهدة خريطة حديثة لليمن .
— أرض مجهولة لا يعرفها إلا المرشدون ..

انتقل المؤشر من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى
الغرب .

— جميع هذه المدن ثائرة وموالية أما الجبال فلا تخلو
من جيوب !

— اعتقدنا أن الحرب قد انتهت .

— هي كذلك بالمعنى العسكري ولكن علينا أن نطهر الجبال
من المتسللين !

دعانا إلى جولة في المدينة . زرنا المستشفى . تجولنا في أحياء
ردتنا بقدرة قادر إلى أزقة القاهرة وحاراتها القديمة . شاهدنا
دكاكين حافلة بسلع من جميع أنحاء المعمورة . طالعنا وجوه
صامتة مغلقة غامضة ، لا ينظرون نحونا ، وإذا نظروا لم يرونا .
— يا حضرة القائد .. أهم يكرهونا ؟

— كلا يا أستاذ ولكننا في عز وقت التخزين !

أجل .. إنه القاتل ! الدنيا تنساب في حلم كبير يرفرف فوق المدينة ولم تعد إلا أشباحا لا حقيقة لها . وثمة تاجر مستقل على أريكة أمام دكانه سأل القائد عن مكان ما ولكنه لم يبد حراكا ولم ينبس بكلمة .. ما فعل إلا أن رفع يده ببطء شديد مشيرا نحو المكان كأنما هي صورة متحركة مصورة بالتصوير البطيء ، أما ظاهر الرجل اليمنى فيتلخص في لحية وخنجر وبندقية . والتجول بين الحوانيت مشير للغاية . وكان مدعاة للتساؤل عن بدل السفر ومتى يصل . وقال القائد :

— ستجدون في صنعاء سلعا أطرف وأجمل ، أما تعز فحدث عنها ..

ولفتت الأنظار الحقائق والأقمشة ، ثم احتكرتها الهرمونات والمقويات . وتسلسل من القسائد إلى النفوس إعجاب ودود ، تضاعف عندما دعانا إلى العشاء في مقر القيادة اليمنية . اجتمعنا هناك بكهول وشبان من اليمن ، منهم من يرتدى البدلة ومنهم من يرتدى الزي الوطني . تبادلنا الأحاديث عن الحرب والثورة والتاريخ والأدب . كشفت الروح اليمنية عن كنوزها فاستعدنا شعورنا بالأنس والألفة وتفتحت قلوبنا بلا حدود . وملت نحو زميل هامسا :

— أشعر كأنما رأيت هذا المكان من قبل !

فرد على " هازئا :

— هذه نتيجة عقدة نفسية سأحدثك عنها فيما بعد .

وضعت الموائد حول بركة كانت مسبحا للجواري ذات

يوم . وعزفت لنا جوقة موسيقية وغنى لنا مهرج الإمام . وقال
لنا القائد ونحن عائدون :

— ستبيتون الليلة في الباخرة وغدا صباحا تذهبون إلى
صنعاء ..

وتساءلنا عن وسيلة المواصلات فقال :
— ثمة طريق جديدة شقها الصينيون في الجبل ، تقطعها
السيارة في ثماني ساعات ، وسوف ترافقكم قوة مسلحة ..
ولدى سماع هذه العبارة الأخيرة ساورنا القلق ، وسأله
سائل :

— وما الداعي لمرافقة القوة المسلحة لنا ؟

فأجاب مواريا ابتسامة :

— تعرضت الطريق لهجمة عدوانية فاشلة منذ أسابيع !

وأكثر من صوت قال في نفس واحد :

— حدثنا يا قائد عن وسيلة مواصلات أخرى .

فضحك ضحكة عظيمة وقال :

— ستأخذون الطائرة وستصل بكم في ساعة أو أقل .

عدنا إلى الباخرة . سهرنا في جناح القبطان في جو حار
رطب خرق المألوف لنا . ولما آويت آخر الليل إلى القمرة قلت
لزميلي فيها :

— أشعر من الحر والرطوبة بأننى سأموت عما قليل .

فأجابنى بصوت ملؤه النعاس :

— لكل أجل كتاب !

الجندي

السفينة تقترب من الشاطئ . جمهور ضخم ينتظرنا . ولكن
اي جمهور ؟! . نساء ! . أجل نساء لا حصر لهن في أزياء مزخرفة
بالحمر والزرقة . ما الذي أخرجهن من البيوت ؟ . وفي لهفة حزم
كل جندي متاعه وعدته وحمل بندقيته . ورأينا ضيوفنا من الأدباء
وهم يهبطون وراء حقائبهم . وبحشت عيناى عن أستاذى السابق
حتى رأيت . وددت أن أودعه ولكن الزحام والنظام حالا دون
ذلك . وصارت لنا الأوامر بالنزول فسرنا نحو السلم فى ترتيب
عسكرى . ها أنا أستقبل بلدا غريبا بعد أن ركبت السفينة لأول
مرة . وفوق الأرض تكشفت لى حقيقة المتجمهرين . إنهم رجال
لا نساء كما توهمت من بعيد . يرتدون لباسا كالجونلة ويطلقون
اللى . تنغص على حماسى وفتر فرحت أتمشى فوق رصيف
الميناء . وتذكرت أمى التى لم أودعها . وتذكرت خطيتى التى
زرتها ولم أودعها أيضا . وقلت لو أثنى ودعت أمى لتلقيت من
دعواتها ما ينفعنى . ونودى علينا فهرعنا إلى الصنف . ثم اتجهنا
إلى سيارات معدة لتوصيلنا إلى صنعاء . وخرجت السيارات من
حارات متربة حتى اجتزنا بوابة كبيرة . وإذا بنا ندخل فى طريق
مهدة ، تأخذ فى الارتفاع كلما تقدمنا . وسألت زميلى :
— أين مملكة سبأ ؟

فسالني بدوره دون اهتمام بسؤالى :

— انحن ذاهبون إلى الميدان ؟

وجذبت الجبال المتشابهة عيني . ألقيت بنظرة إلى أسفل فادرنت مدى الارتفاع الذى يصعد إليه بلا توقف . ومضت الحرارة تخف والجو يطفئ والدنيا تتعير . وتساءلنا حتى متى نواصل الصعود فاجاب دليلنا اليمنى :

— سنصعد فوق الجبل .

لا فرق بين السيارة والطيارة فى هذا البلد . ودار بنا طريق دائرى فتطالعنا الشمس المائلة حيناً وتغيب عنا حيناً آخر . وبهرنا السحاب وهو يزحف نحونا حتى روعنا . ودخلنا فيه فغاب الوجود وبتنا من أهل السماء . حتى أنفسنا غابت عنا . وارتفعت الأصوات وتبادلنا الألقاب الضاحكة . ولما خرجنا من السحاب استوى الجبل إلى يسارنا على هيئة مدرجات تكسوها الخضرة المتألقة فهتفنا دهشة . لم أكن رأيت من الجبال إلا المنقطم فيما وراء مسجد الحسين رضى الله عنه فتلوت فاتحة الكتاب . أما إلى اليمين فينحدر الجبل صائفاً مدرجات واسعة من السهول تنبث فى جنباتها القرى ، وتتناثر الأكواخ ، وتهيم القطعان والأطفال ، من تحتها خضرة ومن فوقها قطع من السحب متفاوتة الشفافية تتلاقى فى احتدام وتنتشر كقبة هائلة ثم تلاطم سفح الجبل تحتنا فتفور كالأبخرة ، وها نحن نطلق فوق السحاب كأنما تقلنا إليوشن المظلات . قال الزميل :

— ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

فقلت بوجد :

— صدق الله العظيم .

قيل الغروب اجتزنا بوابة صنعاء . وعلمنا أننا ذاهبون إلى كلية الطيران للمبيت فاستبشرنا خيرا ومنينا أنفسنا بليلة نوم ناعمة . غادرنا السيارات ومضينا نحو الكلية دون أن تتبين المبنى من الخارج لغلبة الظلام على الدنيا . ولكننا وجدنا أنفسنا في مكان هو أشبه ما يكون بالاصطبل . لا مقعد ولا فراش ولا حتى حصيرة . وقفنا ذاهلين تتبادل النظرات . وأمرنا أن ننام كيفما كان الحال حتى الصباح . نمنا ليلتنا على الأرض بكامل ملابسنا . وفي الصباح صدرت أوامر بأن ننشئ معسكرا حول مطار صنعاء فأنهمكنا في العمل . ولم يكن بين أيدينا من الطعام إلا القليل ومن الماء إلا النادر . وندرة الماء أزعجتنا بصفة خاصة . ونمنا ليلتنا في المعسكر . وفي الصباح صدرت الأوامر بالتوجه إلى مدينة عمران . خرجنا من بوابة صنعاء الخلفية . وترامى أمامنا طريق صخري يتنقل بين جبال عاتية . إننى أغوص فى المجهل . أصبح الماضى بعيدا جدا . ترى هل علمت أمى بأمرى وهل علمت به خطيبتى ؟. إنهما أعز ما يشدنى إلى عالمى القديم . أما العالم الصخري المكفهر المترامى أمامى فلا أدرى شيئا عما يخبىء لى من أقدار الغيب . ورأيت عن بعد سيارة مدرعة تقود قافلتنا فتطلعت نحوها بثقة ولكنى قلت لنفسى إن الله وحده يحفظنا ويرعانا .

— كل شيء غريب هنا .

— وقاflتنا العسكرية تسير كما كنا نشاهد فى السىنما .

— ولكن الفرجه شىء وخوض المعارك شىء آخر .

— لا يوجد إنسى .

— ولا جان !

وأخيرا تراءت لنا عن بعد بوابة حجرية تقوم على مبعدة منها إلى اليسار قلعة ذات أسوار وأبراج للمراقبة . تبودلت كلمات لم نسمعها بين السيارة المدرعة ورجال الأبراج فتح على أثرها باب البوابة فتهادت منه قافلتنا .

— مدينة عمران ؟

— أجل .. لعلنا نجد مقهى أو ملهى .

وجدنا قرية كقرانا فى الريف . تقع وسط سهل ومراعى تطوقها سلسلة من الجبال الصخرية من ثلاث جهات .

— مدينة عمران .

— مدينة عمران !

غادرنا السيارات . تناولنا الطعام من العلب وشربنا بحبيطة وحذر . أحاط بنا الغلمان والأطفال شبه عرايا . حملقوا فى وجوهنا بأعين داهشة ثم تبادلنا الابتسام . ومرح الأطفال حول السيارات وتحتها . رغم البؤس أطل علينا من الأعين البريئة جمال فطرى ونظرات ذكية . ترى من من هؤلاء تربطنى به صلة قريى ترجع فى تاريخها إلى ألف عام ؟ .

ولم نمكث فى عمران إلا ساعات ثم صدرت الأوامر بالذهاب إلى حجة . تحركت القافلة دون أن تترك وراءها ذكريات . دخلنا

فى السحاب مرة أخرى حتى غاب عنا كل شيء . وندت أصوات
متفرقة فى المسيرة الطويلة .

— أهى أرض عدوة أم صديقة ؟

— ربما انهال علينا المطر أو الرصاص .

— قريب من هنا هبط سيدنا آدم إلى الأرض .

تلوت الفاتحة والصدية . ولما انجاب السحاب عنا ترمى
امامنا الطريق الصخرى مرة أخرى . ثم انفسح فيما يشبه الدلتا
عن أرض رملية تغطى الحشائش بعض رقعات منها متباعدة .
وتوقفت القافلة فجأة فاشترأت القلوب . دارت السيارة المدرعة
فى حركة مناورة . وجرى التهامس من سيارة إلى أخرى : كمين..
كمين . تناولنا البنادق فى حركة استعداد . برز علم أبيض من
وراء آتياس الرمل المطوقة للكمين . خرج جندى يمنى ملوحا
ومرحبا . نزل إليه من السيارة المدرعة ضابط فتصافحا . زار
الكمين ثم عاد إلى السيارة . دخلنا حجة ، القرية الجديدة ،
يا للقرى ! إن قلبى يحلم بشيء لا يتحقق . التقينا بجنود مصريين
من المشاة . تفرقنا فى الخلاء والشمس على وشك المغيب . الجو
مائل للبرودة كأيام الخريف يا مصر .

— جنود مظلات ؟

— نعم .

— صرواح !

— صرواح ؟

— هبط الجنود فى واد ضيق تكتنفه الجبال .

— فى صرواح ؟

— نعم .. تم انهال عليهم الرصاص من الجبال !

— فى اى وقت ؟

— الفجر .

— وقت سهل فيه الاختفاء ، هل وقع ضحايا كثيرون ؟

— غير قليلين ولكنهم طهروا المنطقة ..

— ليرحم الله الشهداء .

بلد كأنه شبكة من الجبال المتقاطعة . من كان يتصور ذلك ؟! كحارات خان الخليلي ، كحجرة جحا ، كالتعليمات المالية والإدارية . السحاب يركض وعما قليل تختفى السماء . وقيل إن المطر سينهمر . وارتفع النداء داعيا إلى إقامة المعسكر .

٣

الاديب

استيقظت بعد نوم ساعتين . غادرنا السفينة إلى مطار الحديدة . اتخذنا مجالسنا فى طيارة إليوشن ناقلة للجنود . سرى اليمن من فوق . صحراء وجبال ومراع . أما المنظر الجديد حقا فهو منظر الوديان الخضراء فى سفح الجبل . وقال أحدنا للمرافق لنا :

— الجبال عالية جدا !

— وتنطلق الطيارة بحذاء بعض القمم أحيانا .
— لو أن عدوا ربض فوق جبل فلن يتعذر عليه إصابة
الطيارة بالبندقية العادية ؟
فضحك قائلا :

— ولا يخلو بعض طياراتنا من آثار عديدة للرصاص ..
ولما رأى وجومنا استطرد :

— لا تزيد نسبة الإصابة القاتلة عن واحد في الألف ..
أسلمت ناظري إلى الجبال تحتنا . القرى الخضراء والفجاج
المتلوية . حتى لاحت صنعاء . من الجو بدت مدينة عمران ومجمع
أحياء ومقر قباب وماذن . وعندما حملتنا السيارة من المطار إلى
الفندق خاضت بنا زمنا موغلا في القدم . تراصت على جوانب
الطرق المتربة بيوت غريبة مزركشة . زركشتها أيدي أطفال
فمسحتها من خيوط الأحلام وألقت بها في قلب مدينة سحرية .
انشق سطح الأرض عن دنيا غابرة تطوف بها القلائس والوزرات
والخناجر والبنادق واللحى . لفحتنا غربة ، لاطفتنا نسمة ،
تجاذبتنا عواطف مبهمة ، ثم لذنا أخيرا بأطيب المشاعر البشرية
التي جئنا بها . وفي الفندق ارتددنا إلى ذكريات الطفولة ، درجات
السلم العالية ، رائحة الكلس العطنة ، الأسقف العالية . فندق
قديم كقلعة بالية يديره غلام ذكي . جلسنا على الأسرة في عنبر
جمعنا . وتبادلنا أحاديث لا نهاية لها . وإذا بالغلام يجلس على
كرسي عند باب العنبر بلا استئذان . جعل يقلب عينيه اللماحتين
فينا بهدوء عجيب . ولما تركزت الأبصار عليه قال :

- أأنتم مصريون ؟
- نعم يا أأنا اليمين ..
- أأأأأأ فطورا ؟ .. أأأأ أأأ من اليمين وفول من مصر ومربة من أأروبا ..
- أأأأ أأأأ أأأأ ؟
- أأأ أأأأه ولأأأ أأأه .
- أأأ أأأ ؟
- أأأ أأأ أأأ .
- أأأ أأأأأ أأ أأأأ ؟
- أأأ أأأأ أأأ .
- أأأأ أأأ ، وما أأأأ في أأأأ ؟
- أأأ أأأأأأ وأأأ وأأأأأ أأأ أأأأ ..
- وأأأ أأأ أأأأ أأأأ أأأأ أأأأ ، أأأأ أأأأ
- وأأأأ أأأأ أأأأأأ أأأأ أأأأ أأأأ . أأأأ أأأأ أأأأأه
- أأأ أأأ أأأأ أأأأ . وأأأ أأأأ أأأ أأأأ أأأأ أأأأ
- أأأأ ، وأأأ أأأأ في أأأأ أأأأ . وأأأ أأأ أأأأ أأأأ
- أأأأ أأأأ .
- أأأأأ أأأأ ؟
- أأأ .
- أأأأ ؟
- أأأأ وأأأ أأأأ . أأأأ ما أأأأأ أأأأ أأأأأه
- أأأأ أأأ أأأأ أأأأ أأأأأأ .

- إن كنت حقا من عدن فهل تعرف لغة أجنبية ؟
- عشت في عدن ومصر وسوريا وإنجلترا وفرنسا ..
- هل تستعمل القات ؟
- كلا فإنه يضعف القوة الجنسية .
- إذن فأنت حريص على قوتك الجنسية ؟
- إن قرّة عيني في التجارة والفسق !
- ضحكنا طويلا . وانطلق يتكلم عن الفسق في شتى أشكائه وألوانه ومتناقضاته ، وعقد مقارنات عنه في البلاد التي عاش بها ولكي يقيم الدليل لنا على صحة مراجعته حدثنا عن مصر حديث العارف الدائر ، حتى قال له شيخنا :
- إنك معجم فسق البلدان !
- غادرنا الفندق لزيارة القائد العام ورئيس الجمهورية .
- طفنا بمخازن الإمام وبيت الرهائن ثم شهدنا في المساء ندوة أدبية بالقصر الجمهوري . وقابلنا بعض الموظفين المصريين المنتدبين لعمل أول ميزانية للجمهورية اليمنية وإقامة نظام مالي كأساس لحياتها الاقتصادية . وقد دعوني لزيارة جناحهم في القصر فذهبت معهم وأنا أداعبهم قائلًا :
- إذن فأنتم أول من بشر بالروتين في أرض اليمن .
- وجلسنا نتحدث وأصوات الشعراء في الندوة تترامى إلينا .
- وقال أحدهم :
- لقد أغلقت اليمن الأبواب على نفسها ألف سنة فلم يختف منها الشعر ولكن المشكلة الحقيقية هي متى يغزوها العلم ؟ !

الجندي

على السرية الأولى أن تستعد وتتجهز بأدوات الميدان .
شملتنا حركة نشاط متدفقة وعصبية .

— لماذا ؟

— للقفز في مدينة صعدا .

أمرت أن أذهب مندوبا عن ف ٢ للتعين . ذهبت إلى مركز
التعين . تسلمت مجموعة كافية من الفانلات والكلسونات
وطواقى صوف وجرابات وأحذية وعلب سردين وبولوييف .
إلى صعدا . وما صعدا ؟ . مدينة أم قرية ؟ . غزو أم إمداد ؟ .
لن يكون القفز هذه المرة في ميدان تدريب كالمرات السابقة .
— لندع الله أن تكون صعدا خيرا من صرواح .

هتفت مقظبا لأتمالك أعصابي :

— الأعمار بيد الله .

— معي أربعة وعشرون ريالا وهي ثقيلة .

— لفها حول وسطك كما فعلت .

ذهبنا إلى مبنى المطار لتسلم المظلات . أخذت مظلة أساسية
بدون احتياطي . ليكون طريقك سهلا آمنا نحتي نهبط فوق
الأرض . لبست ما يلزمني في الحرب من بدلة مموهة وبدلة
اسموكس فوق بدلة كاكي قفز والخنوذة والبندقية وحقيرة خزن

ومحفظة قنابل وحقيبة الجراية وبها ذخيرة ومطواة . وانهمكت
في إعداد أشرطة المظلة . وإذا بيد تساعدني . رفعت رأسي فرأيت
زميلي بمدرسة مكارم الأخلاق بشبرا . تعانقنا . عانقت فيه مصر
وأهلها .

— سأكون معك في الطائرة .

— جان مستر ؟

— نعم وسأساعدك على القفز .

— أشكرك ، هل تتذكر شبرا ؟

فضحك ويداه لا تكفان عن مساعدتي . وقبل أن أترسل
في الذكريات دعينا إلى طابور . استعرضنا القائد العام وقائد
المظلات . وكان القائد يقف أمام كل جندي ويسأله :
— ألك أي طلبات ؟

رأيت لأول مرة عن قرب . ذكرني وجهه بوجه ستالين .
وسرحت زغما عني فلما عدت إلى الحاضر سمعته وهو يعطي
إرشادات عن المنطقة . واصطفت الفصيلة أمام طائرة أليوشن
رقم ١٤ ، الضابط أول الأستك يمين وأنا آخر الأستك شمال .
وهذا يعني أنني سأكون أول القافزين . ولكن ألا يستوى الأول
والآخر أمام القدر ؟ . وصعدنا إلى الطائرة واحداً في إثر واحد .
بدأت محركات الطائرة تدور . كان معنا اثنان من جان مستر
الذين يساعدون على القفز . وانطلقت الطائرة فلم تتحول
أفكارى عن مصر . ولما استوينا فوق السحاب أشعلت سيجارة .
خلت أفكارى منغوسة في مصر . النيل والحضرة والأم والفتاة .

ولمحت طائرات تطير إلى جانبنا . وإذا بجرس النور الأحمر يدق معلنا وصول الطائرة إلى صعدا . وظهر النور الأخضر داعيا إلى القفز في الحال .

— ستهبطون في منطقة إسقاط بالمطار ، توجد طائرة بيضاء في وسط المطار ، على كل فرد أن يتجه إليها ..

تقدمت من باب الطائرة . توثبت للقفز بقلب خافق . دفعني الزميل القديم بشدة ليبعدني عن جسم الطائرة . لم أكتبه لنفسي إلا وحبال المظلة تشدني في الجو . نظرت إلى أعلى فرأيت المظلة مفتوحة بيد أن حبالها التفت حول بعضها البعض . درت حول نفسي بسرعة فائقة حتى استقامت الحبال . مضيت أهبط في الظلام وحركة انسيابية هادئة تسري في أعصابي وأنا في غاية من اليقظة والتركيز . ولمحت شبح جبل غير بعيد ، ما لبثت أن صرت في كنفه ، وجعل يرتفع كلما أمعنت في الهبوط . اخترقت أذني أصوات طلقات نارية . اجتاحني القلق وشدت يداي على الحبال . ضرعت إلى الظلام أن يخفيني عن أعين الصائدين وأنا أتوقع رصاصة تصيبني في أي لحظة . انتهت الرحلة التي اعتبرها أطول رحلة في حياتي فاصطدمت بالأرض صدمة شديدة ورحلت أتدحرج منقلبا على نفسي مرات حتى استقر بي المكان . غرزت ركبتي في أرض معشوشبة مصمما على النجاة . فتحت قفل المظلة فأخليتها بسرعة ثم انبطحت على بطني . وبحذر شديد تخللت الظلام بعيني . وإذا بي أرى شبحا على مقربة مني فسددت نحوه بندقيتي في ذات الوقت الذي صاح بي « يا أخى

المصرى .. أنا من الحرس الوطنى « أنهضنى وهو يعانقنى .
حدثته عن الطلقات النارية فأكد لى أن الجبل بعيد نسبيا . نظرت
حولى فميزت مجاميع من أشجار التين الشوكى . انطلقت فى
الجو إشارة خضراء فمضينا نحوها ، وانضمت مرة أخرى إلى
السرية . نادى الضابط علينا فتبين غياب اثنين من السرية .
— أصيبا ؟

— أو هبطا فى أرض العدو .

لاحظت وجود جنود من غير سريتنا . وعلمت أن ثمة قوة
سبقتنا إلى هنا ولكنها حوصرت فطلبت نجدة فأرسلنا إليها من
السماء . ولم يكن بصعدا أحد سوى الجنود . ولم نسترح دقيقة
فتوزعنا فى أماكن من السور المحيط بالبلد وسرعان ما اشتركنا
فى إطلاق النار . واستمر الضرب من ناحيتنا حتى توقف الضرب
الآتى من الناحية الأخرى .

وصدر أمر بالاستعداد للهجوم على الجبل الأسود المطوق
لجانب كبير للمدينة . حصل تجمع لا أعرف مداه . وترامى إلينا
أزير طياراتنا وهى تهاجم الجبل وترميه بقنابلها . تواصل الضرب
ساعة ثم صدر الأمر بالتحرك . تقدم سريتنا ضابط حاملا مدفعا
رشاشا فتبعناه فى حركة انتشار . تقدم الضابط لنا بث فينا روحا
عاليا فأخذنا فى الصعود ونحن نطلق النار وقد شعشع ضوء
النهار الباكر . وتساقط رذاذ فى أثناء تقدمنا ثم لم يلبث أن
انهمر المطر . وصوت صاح :

— يجب أن نصعد قبل أن تعيقنا السيول .



الحق أزعجنا المطر وتسلسل منا إلى الأجساد على حين غاصت
أقدامنا في الوحل . لم نكف عن الضرب حتى كف العدو عنه
مما يقطع بتقهقره . ومضيّنا في صعود عسير تكاد تجرفنا السيول
حتى بلغنا القمة . أعلن الضابط احتلال الجبل . تسلينا دقائق
بمشاهدة آثار قنابل الطائرات .

تلقينا أنباء عن فقد شهداء منهم ثلاثة من المجموعة التي
استقلت معي الطائرة رقم ١٤ . تذكرت وجوههم وبخاصة
أحدهم الذي كان يحدثنا في أوقات الفراغ بالفصحى متفكها .
— ماذا يصنعون بالجثث ؟

فسمعت إجابة مقتضبة لا تخلو من أسى :
— يدفنونها !

ولكن الميت يظل حيا في وجدان أهله بمصر حتى يبلغهم
خبره . وفكرت في مصر . بكل وجداني الحزين . من فوق قمة
الجبل الأسود وتحت سيل من المطر المنهمر فكرت فيك يا مصر .
وسمعت نداء باسمي . وقفنا ثلاثة أمام الضابط :
— كونوا نقطة إنذار على بعد كيلو ونصف .

حددنا الموضع بالقياس الدقيق . حفرنا حفرة سرعان
ما امتلأت بمياه المطر . غصنا فيها حتى الرقاب ومعنا جهاز
لاسلكي صغير R/06 .

— راقبوا جيدا وعند أى اشتباه نبلغه ثم نسحب في
ثوان قبل إطلاق النار .
— قد يلمحنا العدو ونحن نسحب .

— أى تأخير معناه الموت بقنا بل جنودنا !
اختص قل منا بناحية والمطر يكاد يجرفنا .
— لكن الجبل طهر ، أليس كذلك ؟
— الزم الصمت ..
ركزت عيني في المراقبة والمطر ينهل بغزارة وقوة لم أتخيلها
من قبل .

٢

الأديب

غادرنا صنعاء بالطيارة إلى مأرب . من المطار استقلنا سيارة
روسى في حجم لورى متوسط ، في مقدمتها مدفع ، لتحملنا إلى
القلعة والآثار . قطعت بنا طريقا وعرة متلاحقة العقبات . وكان
في هندستها مرونة لتواجه بها المرتفعات والمنخفضات ولكن لم
يكن بنا مثل مرونتها . تأرجحنا بقوة وتصادمنا فخففنا البلوى
بالفكاهة ما أمكن . اخترقنا أرضا فضاء إلى ما لا نهاية ، قاحلة
جرداء ، إلا من نباتات شوكية موسومة بطابع الهلاك والفناء .
— مكان الجنتين خال !

— أجل ، أين العمران والخضرة أين !
— وجه الأرض يتغير كوجه الإنسان .
— لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان .

— فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم .
زرنا الآثار القليلة الباقية . عرش سبأ ومقاعد مجلس
الحاشية . تكشف عنها وجه الأرض ثم تركت وحيدة وسط
يباب يكتنفها من جميع الجهات . وقفنا ننعم النظر وثار
رومانسية الشعراء ولكن ماذا يعنى أى أثر لقوم آتين من بلاد
الآثار ؟

وذهبنا إلى القلعة . وجدنا حامية مصرية معزولة عن العالم
بآلاف السنين . حفروا بئرا ليشربوا ، وأقاموا فرنا ليخبزوا ،
وبدوا كأسرة مستقلة مكتفية بذاتها ضائعة في الفراغ . قابلونا
بمرح وقدموا لنا الشاي . ولم يكن يصلهم بالدنيا إلا راديو
وبعض أفلام قصيرة عن مصر . وأشاروا إلى مدينة صامتة مقامة
فوق هضبة ، مدينة غارقة في الجمود والصمت .

— مدينة مهجورة ، هجرها أهلها في أثناء المعارك .
ميتة لا حركة فيها ولا صوت ولا خيال لحي . كانت مقاما
للأشراف ، وخارج أسوارها عاش الرعاة .
— ثمة مفاوضات معهم وسوف يعودون .

يا له من منظر ، منظر المدينة الخالية . حتى المقابر توحى
بطريقة ما بالراقدين داخلها .
— وكيف حال مصر ؟

— عال ، قلوبها تخفق معكم .
— وكيف حال الأدب ؟

وضحكنا . وفي أثناء ذلك جاءونا بنسخ من كتبنا تهرأت
من كثرة التداول .

— أأنتم لا تتصورون مدى الأثر الذي يحفره في نفوسنا
قراءة بضعة أسطر عن وصف مكان أو عادة أو زمان من مصر .
حقا لا يمكن أن تتصور . وقال أحدنا :

— ولكن عددكم قليل ومراكز المراقبة معدودة ؟

— لا يهم .. أصبحت المنطقة موالية ..

تخيلت نفسي مقيما في هذا الخلاء . يوما بعد يوم ، بلا عمل
ولا تسلية . وكلما تخيلت عجبت للمرح البسيط الصادق الذي
يطالنا في الوجوه . وغزاني شعور بالإكبار لا يقاوم .

رجعنا إلى اللورى الروسى . كابدنا الطريق في الإياب كما
كابدناه في الذهاب . عدنا إلى صنعاء . دعينا إلى زيارة مندوب
الحكومة المصرية . جلسنا في بهو استقبال فخم وشربنا المرطبات .
وتكلم أهل العلم عن مستقبل اليمن الواعد بكل خير . عن
الشباب الشائر المؤمن بالتقدم . عن التأخر الأسيف المتراكم من
أبعد العصور . عن إيمان المسئولين اليمنيين بوجوب سير
الإصلاح جنبا إلى جنب مع الحرب ودون تأجيل . ولدى عودتنا
إلى الفندق وجسدتنا في انتظارنا وفد من الأدباء الشائرين .
جالسونا على الأسرة فشرق بنا الحديث وغرب . وكان لكل
منهم مغامرة مع الإمام فراح يروى مغامرته .

الجندي

غادرنا الجبل على أثر قدوم قوة من المشاة لتحتله . نمت
نوما عميقا في المعسكر . في الصباح منحنا عطلة قصيرة فقصدت
قرية غراز . سرت في طرقاتها الضيقة فاستقبلني أهلها ببسمات
إنسانية كنت في نهم إليهما . لاعتبت الأطفال حيثما وجدتهم .
وشربت القهوة في مقهى ريفي كالكوخ . أذهلني جمال النساء .
جمال العيون بصفة خاصة يبعث الدفء في القلوب التي أذابها
المطر . صادفت في تجوالي بثرا ووقت حولها أم وابنتاها يملأن
الجرار . تلكأت عندهن فنظرت إليّ الأم بحنان ذكرني بأمي
التي لم أودعها .

— مصري ؟

— نعم يا خالة .

— يخليك لأمك .

سرت وابتسمت الفتاتان . اجتاحني شعور عاثلي وتذكرت
قريتنا بأسطنها . قلت :

— نحن نحبكم .

وإذا بصوت عال يقول في غير جدية :

— ما شاء الله !

أديت التحية للضابط فقال مقطبا :

— ماذا تفعل ؟ .. ألا تعرف التعليقات ؟
وابتعدت من فوري والمرأة تقول له شبه غاضبة :
— أفزعته يا رجل !

عند الظهر صدرت الأوامر بالتحرك إلى قرية البيضا على
بعد ثلاثة كيلومترات من صعدا . ولدى مشارف الموقع الجديد
هاجمناه على شكل كماشة تتقدمنا ثلاث عربات مدرعة . وثار
الضرب من الجانبين كأعنف ما يكون . اشتد الضرب علينا
بغزارة وشت بضخامة القوة التي تتصدى لنا . انطلق الرصاص
من مركز المراقبة ، من أسوار القلعة ، ومن أكثر من كمين ،
انفجرت قنابل وراءنا وبين صفوفنا . وصدر الأمر بالانسحاب
ونحن نقاتل . انسحبنا مقاتلين بعنف . انفجرت إحدى سياراتنا
المدرعة في حفرة وتعذر عليها المسير . انهمر عليها الرصاص
كالمطر فلم يجرؤ أحد ممن فيها على رفع رأسه وتوقف
الدفاع . أحاط بها العدو من كل جانب ونحن نقاتل مهقرين
لا نستطيع أن نمد لها يدا . ثم أطلق عليها الأعداء بالبلط
والخناجر .

ساعات مرت دون أن تتوقف العملية دقيقة واحدة . أنهكنا
التعب . قل زادنا من الطعام والذخيرة والماء . وضاعف من
إرهاقنا إحساسنا بالقذارة ونحن نتقلب في الطين . الساعات
تمر بثقلها فوق أجسادنا وأرواحنا . وساءلت نفسى حتى متى
أحتمل العناء الذى يفوق طاقة البشر .
وهتف صوت :

— صوت دبابات !

— وطائرات !

هل جاءت نجدة حقاً ؟

ارتفعت روحى المتهاففة . اشتد إطلاق النار . دارت الدبابات
من حولنا وهى تقذف بقنابلها . ثم دوت انفجارات قنابل
الطائرات . تراخت القبضة الخائقة لرقابنا . تحولنا من الدفاع
المتقهقر إلى الهجوم . اقتحمنا البيضا ونحن تتساقط من
الإغبياء . علمت باستشهاد أحد زميلى " بنقطة الإنذار فوق الجبل
الأسود . تذكرت أحاديثنا منذ ساعات عند مشارف قرية غراز .
قال إنه رأى وجوها تشبه بعض أفراد أسرته بدرجة مذهلة .
اقتنع بأنه ينحدر من أصل يمنى . وقال لى :

— لا تدعش إذا فررت — بعد الحرب — الإقامة فى اليمن
إلى الأبد !

٥

الاديب

طارت بنا الطائرة إلى تعز . ودون توقع أحد منا وجدنا
أنفسنا فى جنة . تهادت بنا السيارة من المطار إلى القصر
الجمهورى فى جنة .

— ماذا ترون أيها الإخوان ؟

— سويسرا .. لبنان .. حلم الخيال .

الحقول خضراء ، المراعى خضراء ، الطرقات مجللة بالأشجار ،
الحبائق أكثر من البيوت عدا ، سلسلة من الجبال كالأنغام
التموجة مكسوة بالزمرد مزركشة بالأزهار ، الجو لطيف يريق
السحر معبقا بشذا الورود والثمار . وصاح صائح مشيرا إلى
القمة :

— يا له من فندق سياحي !

إنه يلوح كوكر نسر فوق قمة جبل وسيط بين التموجات
الجبلية غير أن الدليل قال مصححا بهدوء :

— بيت الرهائن ، وهو اليوم خال .

وضحكنا ونحن تتأمله فى أسى . واخترت شاعرا من بين
الزملاء وهمست له :

— ألا تعذرني إن طلبت الإقامة فى تعز ؟

فأجاب بشيء من الامتناع :

— دلى على ملهى واحد ..

ولما آنس منى دهشة استطرد :

— دفعء الجمال الحقيقى إنما ينبعث من المرأة ..

ثم بعد دقيقة صمت :

— والويسكى .. لا يجوز أن ننسى الوقود .

استرحنا فى القصر الجمهورى ساعة . دعا الداعى إلى

التسويق . ذهبنا إلى السوق كل يحمل بدل سفره . وتساءل

صوت فى براءة :

— أليس الأفضل أن نحفظ بالعملة الصعبة لوطننا ؟

انهالت عليه مختارات من السباب شعرا ونثرا . تجولنا في السوق . الوجوه ناضرة جميلة . الحوانيت يديرها غلمان هم آيات في النشاط والذكاء . اخترنا محلا متوسطا فائقضنا عليه كمجموعة من الفئران . زاعت الأبخار بين لعب الأطفال والساعات الأوتوماتيكية والأغطية والمفارش والبلوزات والإشارات والشالات . من جميع بلاد المعمورة . وابتاع كل حقبة متوسطة ليودع بها هداياه . عدنا ولا عملة معنا صعبة ولا سهلة . ذهبنا — عقب الغداء — إلى ميدان الشهداء لشهود ندوة أدبية . استقبلنا بهتاف واتخذنا مجالسنا وراء مائدة مستطيلة . ازدحم الميدان بالجمهور . استبق الشعراء إلى الترحيب بنا والإشادة بثورتنا . وألقى شعراؤنا قصائد عن العروبة والجهاد والثورة والاشتراكية . وجدتنى طيلة الوقت أقارن بين أحاديثنا الفردية وكلماتنا أمام الجمهور . بين تجوالنا في السوق وموقفنا وراء المنصة . إن الصوت الذى يتحدث أمام الجماهير هو صوت الجماهير . وخيل إلى أتنى أدركت شيئا مما ينقصنا . لعله محو التناقض بين ما يقال وما يجب أن يقال . أن تتبنى فى خلوتنا صوت الجماهير . ها هى أشداق مستقبلينا متكورة بالقات إذ قامت الحفلة فى وقت التخزين . هكذا اجتمع خازنو القات بخازنى الهدايا فى سباق الحماس لتقرير المبادئ المثالية للأمة العربية . وعند إبداء ملاحظة من هذا النوع ستسمع من يرد عليك قائلا « يا أخى .. نحن بشر .. لم نرتكب شرا .. ونحن مخلصون .. » ولكن أين الروح التى تشعل

القلوب ؟ ، أين لحظات الاتصاف على النفس التي تخلق المعجزات على مدى التاريخ ؟ ماذا ينقصنا ؟. لماذا نبقي كأننا متفرجون حسنو النية أمام فيلم يموج بجليل الأحداث ؟ . وخيل إلى أن شيئاً يتحرك عند ساقى تحت المائدة . طويت طرف الغطاء ونظرت إلى أسفل فرأيت صبية فى الثامنة أو دون ذلك ، متلعة بشال أبيض ، تتفرج على الحفل من تحت المائدة . شعرت بعينى فأدارت نحوى عينيها فرأيت وجهها صغيراً تقى البشرة يحدق فى بعينين سوداوين كأجمل ما رأيت فى حياتى من عيون . وجب قلبى مستناً لرؤيتها . وفاض به نبع من الحنان والحب . ورفعت عينى إلى قطع السحاب الأبيض المشعشع بنسائم مخضلة برذاذ يجرى قليلاً وينقطع قليلاً فاطمأن القلب إلى وجود شيء صغير على هامش الجمع ، عند ساقى ، ولكنه كامل الصدق والنقاء . وسهرنا فى حديقة القصر حتى الهزيع الأخير من الليل . الهواء بارد دسم ولكنه مفعم بالأمان والسحب تبهر العين بضياء القمر . وقال محدثنا :

— المدن معنا ، أما الجبال فمارقة ولا سبيل للتفاهم بين الاثنين .

وقلب عينيهِ فى وجوهنا مستطلعا ثم واصل :
— فإما أن نلتزم موقف دفاع إلى الأبد وإما أن نبعد العدو

إبادة !

وقال قائل :

— الإبادة !

وقال آخر :

— الحاضرة .. نغزوهم بالحاضرة !

وثالث قال :

— نعرف بالواقع !

وتواصل الحديث تحت ضوء القمر . وتجلت لنا الحقيقة
صخرية صلبة مستقلة بذاتها عن الأحلام .

الجندى

إلى وادى نشوز .

تحركنا بالعربات المدرعة B. + B. شارفنا الوادى . تقدمت
دبابتان للاستكشاف تتبعهما مدرعتى للحراسة . دخلنا سمر
ضيقا تقوم على جانبيه هضبتان صخريتان وكنا فى المدرعة
عشرة . بعد توغل نصف كيلو انهمر علينا الرصاص . تصدت
دروع السيارة للرصاص واستمرت عملية الاستكشاف .
انحشرت سيارتنا فى مطب أو التحمت بشيء مرتفع فتوقفت .
عجزت عن التحرك وضاع كل جهد لتخليصها .

— على دبابة أن تدفعنا من الخلف .

— ليذهب أحدهما إلى إحدى الدبابتين .

وقعت القرعة على زميل فغادر السيارة ليزحف على بطنه فى

الظلام . انتظرنا فى غاية من القلق . وبعد دهر رجع إلينا
وهو يقول :

— دبابة المقدم مشتبكة فى قتال على بعد خمسة كيلومترات.
أما الأخرى فقد تعطلت !

صعقنا الخبر . وهمس صوت :

— نحن عشرة والعدو آلاف .

— والعمل ؟

— مصير سيارة البيض !

من داخل السيارة رأينا الأشباح تهبط فى حذر من الجبل .
فتحنا سقف السيارة وأخذنا أهبتنا بالبنادق والقنابل اليدوية .
طلبنا النجدة باللاسلكى ولكن الاتصال انقطع . أمرنا أقدمنا
بفى الخدمة بمغادرة السيارة . مرت لحظات رهيبة ممزقة بالخوف .
قاومت موجة من الضحك تريد أن تجتاحنى . وثب أحدنا .
تبعناه بلا تردد . نفر من الموت إلى الموت . انهال الضرب .
انبطحت على وجهى . استعملت البندقية والقنابل اليدوية . فى
هنيهة صمت رفعت رأسى فلم أجد أثرا لأحد من زملائى . دعوت
القصر أن يختفى . لم أدر أين أتجه ولا كيف تفرق الزملاء .
خيل إلى أننى محاصر . اتجهت وجهة بلا خطة ولا علم لى
بما ينتظرنى . دهمتنى لحظة مباغتة فوجدتنى حيال ثلاثة أشباح
من العدو بلا تدبر أو وعى فتحت الأمان وضغطت على الزناد
فانطلقت مطرة من الرصاص خر على أثرها الثلاثة . انطلقت
أعدو على غير هدى تحت ضوء القمر . سمعت صوتا ينادينى

فاتجهت نحوه بلهفة من يفلت من قبضة الموت . وجدتنى مع
مجموعة من الزملاء ماضية فى حذر نحو شبح الدبابة المعطلة .
ولما بلغناها صحنا معا :

— افتحوا .. نحن مصريون !

لم تتلق من الداخل استجابة من أى نوع كان . كررنا النداء
بلا أمل . يئسنا فدفعنا أنفسنا فى الحشائش متفرقين وأصوات
الرصاص لا تنقطع . وأخذ الضرب يخف حتى سكت . نهضت
فى حذر مقتربا من الدبابة وهتفت بتوسل :

— افتحوا .. إنى مصرى .. ألا تسمعون ؟

ظلت الدبابة غارقة فى صمت متحد مرهق رهيب حتى
تطايرت اللعنات من فمى ثم رجعت مغیظا يائسا إلى فبر
الحشائش . وإذا بالضرب يتركز على الدبابة كالسيل . مست
رصاصه خوذة فتشعلت . ترقبت الرصاصة التالية بياس وقهر .
هاتف قال لى إنى سأعود إلى مصر . أقسم لى على ذلك . اشتد
الضرب لدرجة غير محتملة . ثم يهدأ ويخف لسبب لا أدريه . لم
يبق منه إلا طلقات متباعدة وأنا مغرور بكل قوتى بين الحشائش .
وخيل إلى أن الظلام يخف ويبهت رويدا . أجل ، الظلام يخف
رغم اختفاء القمر وراء الجبل . سوف تلوح تباشير الضياء
وينقشع الظلام الذى يخفينى عن عين العدو المتربص . سيجدنى
صيда سهلا وسينهاى الرصاص الحائق الغاضب على من جميع
الجهات . الصباح يقترب ولا مكان للمعجزات . لعل أمى تصلى
فى هذه اللحظة ولكن لا أمل فى المعجزات . واشتد الضرب

فجأة . اشتد أكثر من أى وقت مضى . أصبح الضوء يسمح
بالرؤية . أقدام العدو تتراجع نحو الجبل والضرب يجرى من
الناحية الخلفية . ترمى إلى سمعى صوت دبابة أو دبابتين .
جاءت النجدة . إن القذائف تطير فوقى لتنفجر خلف سفح
الجبل . لم تدم فرحتى إلا ثانية واحدة ثم تساءلت كيف أعلن
عن حقيقتى المدفونة لبنى وطنى ؟ .. كيف أتجنب الموت
برصاصهم أو شظايا قنابلهم ؟. أطلقت النار نحو العدو المتقهقر .
وتركز الخوف من الموت فيما ورائى . أثقلنى التعب وثقل على
بصفة خاصة فوق كتفى اليسرى . وغاصت الأرض بلا سبب
واضح . إلى أين تفوص الأرض ولماذا ؟. إننى أهبط فى هوة
ثم يرفعنى شىء مجهول إلى أعلى . وعاد ضوء الصباح يضعف
بسرعة عجيبة حتى غاب كل شىء فى الظلام .

٦

الأديب والجندى

غادرنا القصر الجمهورى فى الصباح الباكر . والسيارة تميل
بنا نحو طريق المطار . اعترض سبيلنا قطيع غنم ترعاه فتاة ..
فتاة جميلة لخص وجهها وقوامها جمال تعز بكافة أشكاله
وألوانه . اهتز الشاعر وجعل يهلوس بها بقية الرحلة . عدنا
إلى الحديدية . إلى الحرارة الذائبة فى الرطوبة الخائقة . قال :

— الارتفاع في المكان يحدث المعجزات ، كذلك الروح
فإنها إذا شاءت أن ترتفع فإنها تعاق المعجزات ، ما رأيك في
هذه الفكرة ؟

قلت :

— لخيرك ولخير الشعر لا تكتب إلا عن المرأة !

ودعانا القائد إلى العشاء فوق سطح مسكنه على شاطئ
البحر الأحمر . لطف الجو ليلا على شاطئ البحر . طاب السمر
حول المائدة الحافلة بما لذ وطاب من طعام وشراب . تجاوبت في
الفضاء ضحكاتنا . هل سمعتم نكتة الرجل الذي . هل تعرفون
حكاية الزوجة التي ، هل وهل وها وها . وتنوع الحديث
واختلط جده بهزله ، وتعدد المتحدثون في وقت واحد ،
وانقسموا إلى وحدات مستقلة .

— الجبليون أشداء ، عندما يحكم على أحدهم بالموت
يتقدم إلى السياف مطلق اليدين على مشهد من أهله ، لو خاف
أو صرخ ركبهم العار إلى الأبد ، يحنى رأسه بثبات ، يهوى
عليه السياف دون بادرة خوف من ناحيته ، ينفصل رأسه عن
جسده وكأنه رأس رجل آخر .

— رجال أشداء حقا ، من سلالة غزت العالم ذات يوم ،
وقوة مدخرة للخير مستقبلا !



ترى أين تلميذى القديم ، جندى المظلات ، ماذا يفعل
الآن ، وماذا يفعل غدا ؟

— وينفذون أوامر شيخ القبيلة بلا تردد ، فى المعقول وفيما
يجاوز أى معقول ، حتى الموت نفسه يهجمون عليه دون مبالاة،
ويؤمنون بأنهم من طينة غير طينة البشر ، وأن الدنيا جميعا
تحت وأنهم فوق ، كالجبال التى تؤويهم !

— ستعود فرقة من الجنود معنا على ظهر الباخرة ..
— ما أجمل أن تؤدى واجبك فى حرب ثم تعود إلى الوطن
سالمًا !

— الإنسان يحارب منذ وجد على ظهر الأرض ، ومن
خلال الحرب خلق الحياة والحضارة !
— متى انقلبت إلى مارد فلسفى ؟
— لا فلسفة ولا دياولو ، فكرة تذهب بى وأخرى تجيء
بى ..

— سبق أن قلت إنك لم تحارب ولن تحارب .
— والحمد لله على ذلك !

— ومرة تزوج جندى دون إذن فقدم للمحاكمة وحكم عليه

بالحبس سبعة أشهر ، ثم أرسل إلى مصر لتنفيذ الحكم ولكنهم
أرسلوا معه زوجته اليمنية ..

— دماغى يدور ويجب أن تتبادل الراى ؛
— سيتسع المجال لذلك فوق ظهر السفينه .
— العالم غريب ملىء بالمتناقضات ولا معنى لشيء إذا لم
نعرف لماذا نعيش ؛
— شربت أكثر مما ينبغى ..
— إنى أشرب زجاجة كاملة وأستطيع بعد ذلك أن أحضر
إذا شئت ..
— متى تجمع محاضراتك فى كتاب ؟

ترى أين ضابط الشؤون العامة لأسأله عن جندى المظلات ؟

— وتلاقينا مع قوة معادية ولكن حجز بيننا صخرة كبيرة
فى ممر جبلى ، تحصنت كل جبهة فى مكانها واستحال علينا
القتال ، دخلنا معركة كلامية ، قلنا لهم يا عبدة الإمام يا أعداء
الإصلاح فقالوا لنا يا كفرة يا فجرة يا عبدة الشيوعية ، ثم
تمادينا فى السب والقذف !

— لا أعرف مكانه الآن ، اكتب له خطابا وأعدك بإيصانه
إليه في أى مكان في الميدان ..

— هل جربت مواجهة الموت ؟
— الحياة كلها كفاح وليس الجندي وحده الذى يحارب ..
— ولكن ..
— سأقص عليك قصة حب عانيتهما زمنا ، بطلتها فتاة متمردة
وحشية ، وسوف تقتنع بأن ما كان بينى وبينها لا يختلف عن
القتال فى شىء .

هل ثمة فرصة لأكتب كلمة سريعة ؟

أخى العزيز ...

كم وددت أن أودعك قبل الرحيل . أذكرك بالحب والإكبار
وأنا على وشك العودة إلى أرض الوطن . ستعود إليه ذات يوم
منتصرا راضيا بإذن الله . اهنا الآن بأنك تحارب فى سبيل قضية
عادلة ، قضية التقدم للإنسان العربى . ومهما تكن العوائق
ومهما تكن العواقب فإنك بذرت فى الأرض بذرة من طبيعتها
النمو والازدهار . أستودعك الله وإلى اللقاء .

« المخلص »

میت و جی



المسرح منقسم إلى قسمين . قسم أمامى وهو حوالى ثلثى المساحة وهو مضاء واضح المعالم . فى وسطه نخلة مغروسة ، وفى جانب منه ساقية صامتة ، القسم الخلفى مرتفع درجات على هيئة مصطبة ، تغشاه الظلمة ، وتلوح به أشباح راقدة ، نيام أو موتى . الطابع العام طابع تجريدى .

يرفع الستار . على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وحيئة بين النخلة والساقية . ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح .

ومع ارتفاع الستار تترامى أصوات معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار . شتائم وتهديدات وأصوات ضرب .
الفتاة : يا رب السماوات .. متى تختفى هذه الأصوات من الوجود .. متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال ،
قريرة العين ؟

(تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول :)
الفتاة : ترى هل أكفر عن ذنب قديم ؟ ، أو أنه بلاء مركب فى
دمى ؟ ، أو أنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة
لإصلاحها ؟ .

(يتقهقر شخص مندفعاً بعنف ، نتيجة لدفعة قوية تلقاها
في الخارج ، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه . الفتاة
تنحني فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان . يفتح
عينيه . ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغماً)
الفتى : أبى !

(تربت على خده بحنان ، يفتح عينيه لحظات ثم
يغمضهما مغمغماً)
الفتى : أمى !

(تربت على خده بحنان ، يفتح عينيه لحظات ثم
يغمضهما مغمغماً)
الفتى : زوجتى !

الفتاة : شد حيلك .
(تدلك خديه . يفتح عينيه مفيقا . ينظر إليها طويلاً ثم
يتمتم)

الفتى : أنت !
الفتاة : حمداً لله .. قم .. اعتمد على ذراعى ..
(تقيمه .. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره ..
وهو يأخذ في التماسك شيئاً فشيئاً)
الفتاة : لعلك أحسن ..

(الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية)

الفتاة : تنفس بعمق فالجو اليوم طيب .

الفتى : لا شيء طيب على الإطلاق .

- الفتاة : الجو طيب على الأقل ، هدىء خاطرك .
- الفتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر .
(تشده برقة إليها فى دلال)
- الفتاة : تعال إلى ، أنا لا أعرف اليأس .
(تحتد فى عيني الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء أمام
نظراتها الحنونة)
- الفتى : لست على حال أهنا معها بعطفك ، معذرة ..
- الفتاة : ليتك تقنع بصدري ملاذا لك من متاعب الدنيا .
- الفتى : ليت ذاك فى الإمكان .
- الفتاة : إنه ممكن إذا أردته .
- الفتى : (متحسسا رأسه وعنقه فى تألم) إنه مستحيل أردت .
أم لم أرد .
- الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء .
- الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء .
- الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها ، إنى أدعوك إلى السعادة .
الحقيقية فى الوجود .
- الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا .
- الفتاة : يا لك من جاحد .
- الفتى : لا أنكر عهدك ، ولكنى أخشاه ، أخشاه فى لحظة .
اندحارى الراهنة ، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية .
مخيفة تعمى البصر .

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتآلق الأزهار وجنى الثمر ؟ !

الفتى : بل إنى أذكر مع الأسى ثقل الجنون وترهل العضلات واسترخاء الهمم .

الفتاة : دعنى أكرر أن لیتك تنفع بصدري ماذا لك من متاعب الدنيا .

الفتى : يا له من جمال دافئ فهار ، هوى من انوت نفسه ، ولكن تلاشت فى أحضانها أحلامى .

الفتاة : إنه أنفع لك من أحلامك .

الفتى : سيطل الجبن أكبر منغص نصف الرجال .

الفتاة : من عجب أن تحن إلى فظاظه الخلاء !

الفتى : أحنّ حقاً إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الدايم .

الفتاة : والدم والتشرد والغبار .

الفتى : بل قوة الاعتداد بالنفس المسخرة للرياح .

الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقاق أمام احتمالات الحياة والموت .

الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب ؟

الفتى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .

الفتاة : أنت أنانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة
الدماء .

الفتى : إني أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .

الفتاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى .

(الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى الظلام حاملة
الرقود من الأشباح)

الفتى : ليكن لى ودوة فى الغابرين .

الفتاة : لا أحب النظر نحو الموت .

الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .

الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود
سوى !

الفتى : كم استنمت إلى هذا الكلام الأسر حتى داستنى
الأقدام .

الفتاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك .

الفتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا
أليما موجعا !

الفتاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه .

الفتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى .

الفتاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى .

الفتى : صدقتك حتى وهنت منى القبضة .

الفتاة : كان علىّ أن أتثلك من حياة التشرد فى الخلاء .

الفتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى .

- الفتاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء .
- الفتى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت .
- الفتاة : لا شيء كالموت .
- الفتى : إنه ليس شر ما فى الحياة .
- الفتاة : صدقنى فإنه عدو الحياة الأول .
- الفتى : أيسرك أن أرضى بالهزيمة ؟
- الفتاة : ارض بأى شيء إلا الموت .
- الفتى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة ؟
- الفتاة : للزمن بلسم يشفى كل شيء إلا الموت .
- الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود .
- الفتاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا .
- الفتى : (مخاطبا المصطبة وأهلها) قولوا إنكم خالدون .
- صوت من المصطبة كالصدى : إنكم خالدون .
- الفتاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .
- الفتى : ألا تسمعين ؟
- الفتاة : إنك تصرخ فى الأموات تبريرا لسفك الدماء .
- الفتى : يا له من صوت رهيب !
- الفتاة : متى كان للتراب صوتا ؟
- الفتى : (مخاطبا المصطبة) هل تسمعون ما يقال ؟
- الصوت - الصدى : (بعد قليل) هل تسمعون ما يقال ؟

الفتى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟
الصوت - الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟
الفتى : (لا يزال متطلعا إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه)
إنهم يرددون قولى .. أجل .. ولهذا معنى عميق
لا يخفى على لبيب .. وها هم يتحركون . (يظلون
رقودا طيلة الوقت ودون حركة) .. إنهم يهدون إلى
صورة عزيزة غابرة .. ها هو القتال يحتدم .. الشهداء
يسقطون .. الجنود يتسلقون جدران الحصن
كالنمل .. ها قد سقط الحصن .. وهذا هتاف النصر
يدوى مخترقا جدار المئين من السنين (ثم ملتفتا نحو
الفتاة) .. رأيت .. أسمعت ؟

الفتاة : لا شيء يرى ولا شيء يسمع !
الفتى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .
الفتاة : ما هى إلا هواجس رغباتك الجامحة فى القتل .
الفتى : سحقا للخمول فى خمائل الورد .
الفتاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة .
الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) لقد لفحتنى أنفاسهم المحترقة .
حزنا على .

الفتاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .
الفتى : إذا مات الأموات فقد أدرك الفناء كل شيء .
الفتاة : إذا أردت الحياة حقا فلا تنظر إلى الوراء .
الفتى : ولكن الوراء هو الأمام !

- الفتاة : ولا تنظر إلى الأمام ..
- الفتى : (يقطب محتجا حائرا) .
- الفتاة : فلتغرق في عيني توهب خلودا بين الظللتين !
- (قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار) .
- الفتى : أسمعين استفزازة الساخر ؟ !
- الفتاة : ريح هوجاء يعربد خلالها الشقاء .
- الفتى : إنه يتحدانى !
- الفتاة : سأغنى لك أغنية ترقص لها الحمام فاستمع إلى " أنا !
- الفتى : فلتطرب العصافير .
- الفتاة : فلتهنأ بك شهوة الدماء .
- الفتى : إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء في صدرى ترابا .
- الفتاة : خير ما تفعل أن تصم أذنيك .
- الفتى : ولكنى خلقت بأذنين .
- الفتاة : لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .
- الفتى : يا لها من مناجاة أجهضت همتى ، .. الوداع ..
- الفتاة : لن تستغنى عنى أبدا .
- الفتى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شيء .
- الفتاة : لن يطيب شيء بعيدا عن ذراعى .
- (القهقهة الساخرة تترامى من بعيد)
- الفتى : الوداع .
- الفتاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .
- الفتى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .



الفتاة : كلمة أخرى .. لا أريد أن يدركنى اليأس .
(الفتى يضع أصبعيه فى أذنيه . تنظر إليه مليا ثم
تمضى إلى الجهة اليمنى) .

(الفتى ينظر نحو المصطبة)
الفتى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه
الموت !

الصوت - الصدى : الموت .

الفتى : ذهبت .. ولكنها لن تذهب بعيدا .. محال أن أتحرر
منها كلية .. ولا رغبة لى فى ذلك .. ولا قدرة لى
عليه .. ولكنى أريد الحقيقة ..

الصوت - الصدى : الحقيقة .

الفتى : أفصحوا .. لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .

الصوت - الصدى : الصخور .

الفتى : حدثونى عن الموت والحياة .

الصدى : الحياة .

الفتى : من هو البطل ؟

الصدى : البطل .

الفتى : أهو المحارب ؟

الصدى : المحارب .

الفتى : أهو المسالم ؟

الصدى : المسالم .

الفتى : اللعنة .. اللعنة .. اللعنة ..

(يتحول الفتى عن المصطبة)
الفتى : (صائحا) على أن أستعد .. إلى الطبيب .. أيها
الطبيب .
(يدخل الطبيب .. بنفس الثياب التجريدية .. ولكنه
ذو لحية .. ويده حقية) .
الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .
الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات ؟
الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .
الفتى : بل يبدو لى أنك مريض .
الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .
الفتى : ياد !
الطبيب : إنه الوباء .
الفتى : هل يوجد وباء ؟
الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .
الفتى : قمقم من الغم .
الطبيب : وهو ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .
الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .
الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .
الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .
الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة
ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا تفيد من
ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف ، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات
الفقيرة القدرة .

الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .

الفتى : ربما ولكنه يستفحل في البيئات الفقيرة .

الطبيب : استفحل هذه المرة في البيئات الراقية !

الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .

الطبيب : امكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة
الصحية العامة .

الفتى : عندك حق .. إني أعتقد أنى مريض .

الطبيب : إني مصنع إليك يا سيدى .

الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .

الطبيب : لعلك ترغب في إجراء كشف عام ؟

الفتى : تقريبا .

الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك « تقريبا » ؟

الفتى : لا مؤاخذه فهذا ما قصدته بالدقة .

الطبيب : ولم لم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر ؟

الفتى : لا تشتد في محاسبتى على أسلوبى في الكلام .

الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة ؟

الفتى : تقريبا !

الطبيب : عدنا إلى تقريبا !

الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .

الطبيب : فلنفترض ! .. ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة ؟

- الفتى : طيب ، إننى أرغب فى إجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا إلى الأسلوب .
الطبيب : إنه أول عرض .
الفتى : عرض ! ؟
الطبيب : إنك تحاور وتداور ، ولا تقصد إلى هدفك رأسا .
الفتى : معذرة .
الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء .
الفتى : الوباء !
الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها .
الفتى : لا أفهم شيئا .
الطبيب : غير مهم .
الفتى : ولكنه مرضى أنا .
الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة .
الفتى : فليكن ، علينا أن نفهمه على أى حال .
الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه .
الفتى : حسن ، فلتحدثنى عن بقية الأعراض .
الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت .
الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها .
الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج ؟
الفتى : أنا تحت أمرك .
الطبيب : هذا هو العرض الثانى !

الفتى : أين هو ؟
الطبيب : بعد المجاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة
وهي « أنا تحت أمرك » .

الفتى : ولكنها مجرد مجاملة !
الطبيب : هذا ما يخيل إليك ، أما الواقع فإنه العرض الثانى !
الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من
أعراض الوباء .

الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم .

الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم ..

الطبيب : (يهز رأسه فى شك وهو صامت)

الفتى : (وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام)
إنى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان
العلم نصرا .

الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من
أعراض الوباء .

الفتى : لست من هؤلاء .. إنى بصفة عامة متعصب للعصر
الحديث ..

الطبيب : متعصب ؟ !

الفتى : أقصد أئننى متحمس للعصر الحديث ، ولا ألتفت نحو
الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة !

الطبيب : وهاك عرضا رابعا من أعراض الوباء !

الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح ؟

الطبيب : إنك لا تدري عنه شيئاً فيما أرى !
الفتى : إني أجد دواراً في رأسي !
الطبيب : الصراحة تحدث لك دواراً ؟ .. عرض خامس !
الفتى : لعلني بالغت في التعبير .
الطبيب : من الدوار إلى المبالغة .. عرض سادس !
الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت .
الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت .. عرض سابع !
الفتى : ها .. ها .. ها ..
الطبيب : دوار ، مبالغة ، صمت ، ضحك بلا سبب .. عرض
ثامن ..
الفتى : ها .. ها .. ها .. ها .. ها ..
الطبيب : إنغراق في الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء ..
عرض تاسع !
الفتى : (يخفي وجهه بين كفيه)
الطبيب : وتخفي وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفي .
الفتى : وماذا يمكن أن أفعل ؟
الطبيب : وهذا هو التساؤل الذي يمثل أخطر أعراض الوباء .
الفتى : الحق إنك لا تشخص مرضاً ولكنك مصمم على
إثبات وجود الوباء .
الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم عليّ ، ومعنى ذلك أنك تهادن
من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك ..
وهذا هو العرض العاشر .

- الفتى : إنك تثير غضبى .
- الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم .. العرض الحادى عشر .
- الفتى : (هازئاً) لولى لا بم ..
- الطبيب : هذيان لطفى .. العرض الثانى عشر .
- الفتى : سبى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ ؟
- الطبيب : حصل .
- الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن ؟
- الطبيب : كلا .
- الفتى : وكيف تصرفت معه ؟
- الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .
- الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر ؟
- الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى أنا للخطر !
- الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء ؟
- الطبيب : بلى !!
- الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا .
- الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد !
- الفتى : ألا تتداوى من الداء ؟
- الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك .
- الفتى : وهو ؟
- الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له ، وهو أن تسير إذا سرت على يديك ، أن تسمع بعينيك ، أن ترى بأذنك ، أن تتذكر بعقلك ، وأن تعقل بذاكرتك .

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق !
الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب !
الفتى : شكرا لك .
الطبيب : عفوا آن لى أن أذهب .
الفتى : مصحوبا بالسلامة .

(الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى . صوت
القهقهة الساخرة يرتفع . الطبيب يتوقف عن السير .
يستدير ذاهبا إلى الناحية التي جاء منها ويختفى)
الفتى : آن لهذا الصوت الكريه أن يخمد ، ولا حل إلا أن
أؤديه ..

صوت من الجهة اليمنى : بل يوجد حل آخر .
(يدخل رجل عملاق بادی الاعتداد بالنفس مبتسما
بمودة)

الفتى : من أنت ؟

العملاق : صديق .

الفتى : ولكنى لا أعرفك .

العملاق : نحن فى عالم لا نعرف فيه إلا أعداءنا .

الفتى : ولكنى لم أرك من قبل .

العملاق : ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .

الفتى : لا حول ولا قوة إلا بالله .

العملاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة
فى عمرك .

الفتى : وماذا تريد ؟
العملاق : أن أساعدك .
الفتى : فى أى شىء ؟
العملاق : فى قهر عدوك .
الفتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .
العملاق : وهذا يجعل من تقدمى إليك سلوكا جديرا حقا
بالصدقة !
الفتى : ومن الذى أرسلك ؟
العملاق : قل إنها العناية الإلهية .
الفتى : هذه إجابة عامة لا تشفى .
العملاق : إذن اعتبر أنى جئتك بحكم وظيفتى .
الفتى : وما وظيفتك ؟
العملاق : أن أقيم ميزان العدالة .
الفتى : ومن قللك هذه الوظيفة ؟
العملاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .
الفتى : ولكننى لم أسألك المعونة .
العملاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجودى على كعب منك ،
وربما ..
الفتى : وربما ؟
العملاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .
الفتى : هذا شأنى على أى حال .
العملاق : كلا .

الفتى : كلا ؟ !
 العملاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، على " أن أتقذك
 ولو من نفسك .
 الفتى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية إلى " أنا .
 العملاق : ويرجع إلى " أيضا بحكم وظيفتى .
 الفتى : إني أشكرك ، أرجو ألا " تعالى فى اختصاص
 وظيفتك ، ثمة رجل وقح اعتدى على " ، ولا مفر من
 أن أؤدبه بنفسى ..
 العملاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سوى ..
 الفتى : است فى حاجة إلى مساعدتك .
 العملاق : بل إنك فى ميسس الحاجة إليها .
 الفتى : أكرر الشكر ولكنى لا أعرفك ولا تربطنى بك صلة
 حقيقية .
 العملاق : إني جزء لا يتجزأ من المكان ، لى فيه رزق وصهر ،
 وتربط أسرتى بأجدادك أواصر مودة قديمة .
 الفتى : أجدادى ؟ ! .. إني أشك فى ذلك .
 العملاق : من أين لك هذا الشك ؟
 الفتى : إني أعرف من كانوا على صلة بهم ..
 العملاق : لا بد أن تفوتك معرفة البعض ، وأسرتى كانت ضمن
 ذلك البعض .
 الفتى : حتى لو صح ذلك فإننى لا أعتبره ملزما لى بقبول
 مساعدتك .

العملاق : إني أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول
لا ملزما له !

الفتى : إذن لا إلزام هناك ..

العملاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .

الفتى : إني أرفض مبدأ الإلزام ..

العملاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط
عليك من السماء ..

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى على ردها .

العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .

الفتى : هذا لا يعنيك فى شيء .

العملاق : بل هو كل شيء عندي ، هو وظيفتى فى الحياة .

الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .

العملاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .

الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .

العملاق : فكر .. فكر طويلا .. لا ترفض هبة العناية الإلهية .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى على ردها .

(الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين)

(العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية)

العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفتاة : شكرا يا سيدى .

العملاق : كنت أذكره بالصلة القديمة التى ربطت بين أسرتى
وأجداده .

- الفتاة : سمعت كل شيء !
- العملاق : إنه ينكر تلك الصلة .
- الفتاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .
- العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
- الفتاة : كن رفيقا به فهو غاضب .
- العملاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى ؟
- الفتاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة .
- العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
- الفتى : (مخاطبا الفتاة) - مؤامرة !
- الفتاة : معاذ الله .
- الفتى : مؤامرة .
- الفتاة : افتح له صدرك .
- العملاق : أشكرك يا صوت العقل .
- الفتى : (للفتاة) إننى أطالبك بالاحترام .
- الفتاة : قلبى ملئ بالاحترام والحب .
- العملاق : لم تعاند محبيك ؟
- الفتى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .
- الفتاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .
- الفتى : إننى أطالبك بالانسحاب .
- العملاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .
- الفتى : (للعملاق) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .
- العملاق : سمعا وطاعة .

الفتاة : إني شاهدة ما دمت ترغب في ذلك ، ولكنى أتوسل
إليك أن تفتح له صدرك .

(الفتاة تذهب)

(فترة صمت يتبادل فيها الرجال النظرات ، العملاق
باسما والفتى غاضبا)

العملاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .

الفتى : أألم تستنفذ المناقشة ؟

العملاق : كلا بعد ، افتح لى صدرك ، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الفتى : (يتنهد صامتا)

العملاق : أريد أن أساعدك .

الفتى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك ؟

العملاق : إني صديق ولست بتاجر .

الفتى : حدثنى عما تريد .

العملاق : لا شىء ألبتة .

الفتى : ألبتة ؟

العملاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعاً .

الفتى : ظروف العمل ؟

العملاق : لكى أؤدب عدوك فلا بد من استدراجه إلى هنا .

الفتى : إلى مكانى هذا ؟

العملاق : نعم .

الفتى : لا يجوز أن يدنس مقامى بقدمه .

العملاق : لا تعط للمكان أهمية أكثر مما يستحق .

الفتى : (مشيراً إلى المصطبة) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العَملاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الفتى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد ؟

العَملاق : إن باطن الأرض ملىء بالعظام وهيئات أن تعرف أين عظام أجدادك بينها .

الفتى : هذا رأى من لا أصل له .

العَملاق : لا تغضب .. ما أردته هو أن أبين لك خطئى العمل .

الفتى : ولم لا تذهب إليه حيث يقهقه ؟

العَملاق : إنى أعرف ما أريد .

الفتى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل ؟

العَملاق : ولكن ليس هذا بكل شئ .

الفتى : ثمة شروط أخرى ؟

العَملاق : لا تردد كلمة « شروط » فما أبغضها فى مقام الصداقة .

الفتى : طيب .. ماذا تريد أيضا ؟

العَملاق : فى فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .

الفتى : مثال ذلك ؟

العَملاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .

الفتى : جميل ، ولكن يخيل إلى أن مطالبك لم تنته بعد ؟

العملاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجميلة لمجالستنا !

الفتى : فتاتى ؟

العملاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع ..

الفتى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك ؟

العملاق : أعنى أننى فى حاجة إلى الحنان قبل المعركة .

الفتى : وماذا أيضا ؟

العملاق : بما أننى سأكون يدك عند الحاجة فمن الإنصاف

ألا تتورط فى فعل قبل مشاورتى ..

الفتى : منطق سديد !

العملاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتى فقد يكون لى

عدوا .

الفتى : واحد وواحد يساويان اثنين .

العملاق : ولا أن تعادى شخصا قبل الرجوع إلى " فقد يكون

لى صديقا .

الفتى : من يجادل فى ذلك ؟

العملاق : هل نبدا ؟

الفتى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بى عدوى

أكثر من ذلك ؟

العملاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .

الفتى : فاعله ؟ !

العملاق : قبله من زوجك غير قبله من بنت هوى ، وصفعة من

والدك غير صفعة من غريب !

الفتى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى ؟

العلاق : بدأنا تتفاهم فيما أعتقد .

الفتى : (غاضبا) اغرب عن وجهى .

العلاق : ماذا جرى لك ؟

الفتى : اذهب .. اذهب بلا تردد .

العلاق : أين أذهب ؟

الفتى : ابعد عن مقامى .

العلاق : ولكنه مقامى أنا أيضا .

الفتى : ماذا قلت ؟

العلاق : يا سيدى ، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث ،

وقت يعطينى الحق فى الإقامة ، وبالإضافة إلى ذلك

نشأت علاقة إنسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة ، بل

مع هؤلاء الأجداد أنفسهم ..

الفتى : أنت بلطجى ..

العلاق : فليسامحك الله .

الفتى : اذهب بعيدا ، لا أريد مساعدتك ، وسألقى عدوى

وحدى ..

العلاق : عليك فى هذه الحال أن تقاتل اثنين !

الفتى : كيف ؟

العلاق : إنك تناصببنى العداة وسأضطر إلى الدفاع عن

نفسى ..

الفتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك ؟

العملاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى،
الأساسية فى الحياة .

الفتى : لا تستهن بى ، لست عملاقا مثلك ، ولكنى مصمم
على منازلة الموت نفسه .

العملاق : ما دمت تريد الموت فلتمت .

الفتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل .

العملاق : إذن فلتقاتل و لتمت .

(تعود الفتاة مسرعة)

الفتاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت ..

الفتى : إنه شر من الآخر .

العملاق : إنه أحق .

الفتى : إنه من نوع الآخر ولكنه شر منه .

الفتاة : يا للأسف .

الفتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟

الفتى : عندما يختفيان هما وأمثالهما .

الفتاة : كلام قديم معاد .

الفتى : ولكنه حق .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟

العملاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .

الفتاة : (للعملاق) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا

شروط ؟

العملاق : إني أبغض كلمة « شروط » .
الفتاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشيء ؟
العملاق : لن يكون هذا من العدل في شيء ..
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟
(صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد)
(العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودهشة)
العملاق : رباه .. إني أعرف هذا الصوت .
الفتاة : إنه صوت عدوه .
العملاق : عدوه !
الفتاة : نعم .
العملاق : يا لعجائب المصادفات !
الفتاة : هذا هو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك
القضاء عليه .
العملاق : ها .. ها .. ها .
الفتاة : ماذا يضحكك ؟
العملاق : إنه قريبى من ناحية الأم !
الفتاة : قريبك ؟ !
العملاق : نعم .. يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى .
الفتى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه .
العملاق : ها .. ها .. ها .
الفتى : ألا زلت عند رأيك فى مساعدتى ؟
العملاق : ولكنك رفضت مساعدتى !

الفتى : هبنى قبلتها فهل تقدمها ؟
العملاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها ؟
الفتى : لكنك تبغض كلمة « شروط » ؟
العملاق : نعم أم لا ؟
الفتى : نعم .
العملاق : فى هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما !
الفتى : رسول السلام ؟
العملاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة ، ولك .
الفتى : وتعهدا لك السابقة ؟
العملاق : للقربى حقوق ، وإنى لا أوفىها حقها الكامل بموقفى هذا ..
الفتى : ولكنه هو المعتدى ؟
العملاق : ولو !
الفتى : وهو فى الأصل قاطع طريق ليس إلا ؟
العملاق : ولو !
الفتى : إنه وحش ذميم .
العملاق : إنك لا تراه على حقيقته .
الفتى : ألم تسمع قهقهته الساخرة ؟
العملاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقا !
الفتى : ولكنى أعرفه حق المعرفة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .

العملاق : صدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبه ويفهمه .

الفتى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .
العملاق : احمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .
الفتى : ولم ؟

العملاق : كنت سأهرع إلى نجدته .

الفتى : ها أنت تهددنى .

العملاق : للقرابة حقوق .

الفتى : تجلت الحقيقة ، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .

العملاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود إلى الهلاك .

الفتى : لا تضيع وقتى هباء .

العملاق : تصرف بوقتك كما تشاء .

الفتى : سأسوى حسابى بنفسى .

العملاق : أنت تعلم أن هذا كلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف وظيفتى ..

الفتى : اللعنة !

العملاق : إنى صديقك أردت أم لم ترد ، وإنى قريبه قبلت ذلك أم لم تقبله ، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة ، فواجبى أن أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى بين الأحياء والأموات أنفسهم .

الفتى : كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم ..

العملاق : (مخاطبا الفتاة) .. تكلمى أنت ..
 الفتاة : لم يعد عندي من جديد أقوله .
 الفتى : اعترفى بأننى على حق .
 الفتاة : أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب .
 العملاق : كم أنك حكيمة !
 الفتى : كم أنك أنانية .
 الفتاة : - الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية .
 الفتى : الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء .
 الفتاة : ليتك تؤمن بالحب .
 الفتى : لا حياة للحب بين الوحوش .
 الفتاة : الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس
 إلا لمن يؤمن به .
 الفتى : للوحوش لغة أخرى .
 الفتاة : أخشى أن تنقلب وحشا مثاهم .
 الفتى : الكرامة أهم من الحياة نفسها .
 الفتاة : الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب ..
 العملاق : (مخاطبا الفتى) .. من المؤسف أنك تحب الموت
 أكثر مما تحب فتاتك الجميلة الحكيمة .
 الفتى : الموت أحب إلى من الخضوع لإرادتك .
 (القهقهة الساخرة تترامى من بعيد)
 العملاق : يا له من فتى ضحكوك ، يحب المزاح بقدر ما يحب
 الحياة الآمنة .

الفتى : إنك لنيم بقدر ما أنت قوى .
العملاق : أمامك عملاقان ، ووراءك حياة طيبة ، فارجع إلى
الوراء .

الفتى : إلى الأمام .
العملاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن
الجدل يغريه بالعناد والمكابرة .
(العملاق والفتاة يخرجان من باين متقاربين في
الناحية اليمنى) .
(الفتى يتفكر قليلا .. ينظر نحو المصطبة المسربلة
في الظلام) .

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .
الصدى : تنطقوا .

(الفتى يلوح بيده غاضبا .. يذهب ويجيء متفكرا ..
يدخل رجل أعمى يتحسس طريقه بعكاز ، يتصنت
مائلًا برأسه نحو الفتى)

الشحاذ : هل يوجد أحد هنا ؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : أنت الذى ناديتنى ؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطيء .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد أنت ؟

الفتى : أأست شحاذا ؟

الشحاذا : بلى .

الفتى : لعلك تريد إحسانا ؟

الشحاذا : رزقت اليوم بما فيه الكفاية فماذا تريد أنت ؟

الفتى : لا أريد شيئا .

الشحاذا : كذب !

الفتى : شحاذا ووقع .

الشحاذا : لم تشتمنى ؟

الفتى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب ؟

الشحاذا : لأنك كذاب !

(الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام عجزه)

الفتى : اذهب قبل أن أكسر رأسك .

الشحاذا : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى وماذا تريد منى .

الفتى : اذهب أحسن لك .

الشحاذا : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد .

الفتى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه ؟

الشحاذا : اطلب ما تشاء .

الفتى : (ضاحكا رغما عنه) إنى مدين لك بأول ضحكة

فى يومى .

الشحاذا : هذا قليل من كثير مما عندى .

الفتى : يخيىل إلى " أنك غنى .

الشحاذا : جدا .

الفتى : ماذا تملك ؟

الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .

الفتى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك ، وكان ينبغي أن تجد ملجأ يؤويك .

الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .

الفتى : ولم تركته ؟

الشحاذ : رفت !

الفتى : (ضاحكا) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين !

الشحاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .

الفتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أى حال ؟

الشحاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس المتمردين !

الفتى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى ؟

الشحاذ : نعم .

الفتى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول

والتشرد ؟

الشحاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه !

الفتى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف !!

الشحاذ : أعرف أشياء كثيرة .

الفتى : مثل ماذا ؟

الشحاذ : أن أرى بأذنى .

الفتى : وماذا أيضا ؟

الشحاذ : وأن أسير على يدى !

الفتى : أنت ترى بأذنك وتسير على يديك !
الشحاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة
أخرى إلى الملجأ .

الفتى : إلى الوحش ؟
الشحاذ : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم ..
الفتى : وكيف تركته بعد ذلك ؟
الشحاذ : هربت !
الفتى : غير معقول .

الشحاذ : كان عادلا وأميناً ورحيماً ولكنه مغرم بالنظام لدرجة
الهوس ، ويطبقه بدقة فلكية ، ولا يقبل مراجعة ..
الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة ..
الشحاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و « لا مؤاخذه »
بميعاد والنوم بميعاد ، فكدت أن أجن ..

الفتى : وتمررت مرة أخرى ؟
الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على
التمرد على رجل عادل أمين رحيم .

الفتى : كان عليك أن ترضى ..
الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه !
الفتى : التمرد ليس خيراً فى ذاته .
الشحاذ : ولكنه خير من أن تكون حجراً .
الفتى : وهكذا هربت ؟
الشحاذ : هكذا هربت .

الفتى : إلى التراب والحشرات واللقمة العفنة !

الشحاذ : إلى سعادتي الحقيقية ..

الفتى : حديثك مثير وعجيب .

الشحاذ : فتك بعافية .

(الشحاذ يتحرك)

الفتى : انتظر ...

(الشحاذ يستمر في سيره)

الفتى : ألا تريد أن تسمعني ؟

(يمضي الشحاذ حتى يختفى)

(يعود العملاق ... تعود الفتاة)

الفتاة : قلبي طيلة الوقت كان معك .

العملاق : لعلك اقتنعت برأىي .

الفتى : أيها السيد الذي يحب الشر ، ويحب الخير أحيانا

لحساب الشر .

أيتها السيدة التي تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا

لحساب الخير .

إليكما رأيي النهائي .

سأصون كرامتي حتى الموت .

الفتاة : (تخفي وجهها بين يديها وستظل كذلك إلى ما قبل

النهاية) .

العملاق : شعار الوباء الذي فتك بملايين الحمقى ..

الفتى : ينايع الحياة الحقمة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب

الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التي تدب
فيها معانى الأشياء ، إني ذاهب ..

(القهقهة الساخرة ترتفع)

(الفتى يتحول نحوها فى تصميم ويتقدم . العملاق
يثب نحوه . الفتى يدفعه . العملاق يقبض على كتفيه
ويدفع به نحو المصطبة . الفتى يندفع حتى يغيب
فى الظلمة - الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار
منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا .

وكان حركته أيقظت الرقود وشدتهم من رقادهم .
يتدحرج أولهم حتى يصل إلى مقدم المسرح وينهض
فى ثاقل كمن يقوم من نوم . يتبعه آخر مكررا نفس
الحركة . ويتتابع كثيرون ، رجالا ونساء مكررين
نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح .

العملاق يتزحزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل
المفضى إلى القهقهة الساخرة .

تم يقظة الجميع . تنتصب قاماتهم . يرسم العزم
فى وجوههم . يجرى ذلك فى تمثيل صامت . يسير
الفتى نحو ناحية عدوه وهو يضرب الأرض ضربات
مسموعة منتظمة . يمضون خلفه فى عزم صلب حتى
يختفوا جميعا . ضربات أقدامهم ما زالت تترامى)

الفتاة : (ترفع يديها عن وجهها ... تصغى بحزن .. وترمى
بنظرها إلى بعيد ،

الحركة



حجرة انتظار في بيت ولي الله
حجرة ذات طابع عتيق . في الصدر كونصول . باب إلى
اليمن وآخر إلى اليسار - تصطف بجوانبها كنبات تفصل
بينها كراسي . ثمة حصر مزر كشة معلقة على الجدران في مواضع
محددة .

يدخل فتى وفتاة . يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها
لأول مرة ، ثم يقفان في الوسط .

* * *

الفتى : البيت صامت كأنه قبر .
الفتاة : صفق لتشعرهم بوجودك .
الفتى : إنه يكره ذلك ، ما زلت أذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفتاة : بيتكم قديم ، والحواري المفضية إليه شقت فيما يبدو
من عهد نوح .

الفتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحواري كسائحة .
الفتاة : تأدب ، المفروض أننا مهذبون .

(صمت قصير)

- الفتى : لم دعانى يا ترى ؟
- الفتاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .
- الفتى : ظننت أن الماضى لن يعود .
- الفتاة : الحاضر يمضى والماضى يعود ، ولا ينبغى لرجل مذنب أن ييأس ، فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .
- الفتى : ألم تحلمى يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك ؟
- الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى .
- (الفتى يتسهم من خلال ثوانى من الصمت)
- الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذاك الفراق الطويل ؟
- الفتاة : إنك وحيد ، وللقلب حنينه ، ومن يدرى فلعلك ..
- الفتى : لعلى ؟
- الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .
- الفتى : طردنى يافعا ولا ملهم واحد فى جيبى .
- الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين ؟
- الفتى : تشردت وجعت ولولا ..
- الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .
- الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .
- الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .
- الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .
- الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .
- الفتى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .

الفتاة : حتى تضحك على الرجل .
الفتى : العبي دور الزوجة يا تقان .
الفتاة : كان عليك أن تجيء وحدك وتركنى فى سلام .
الفتى : لئن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور
وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزاب .
الفتاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .
الفتى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .
الفتاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب
خمارة وأنت مغامر ؟ !
الفتى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أيك
المرحوم .
الفتاة : لا تدفعنى إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة
العتيقة المباركة .
الفتى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، وتقدم بذلك
الدليل الحى على صدق علاقتنا الزوجية .

(صمت)

الفتاة : آه لو يتحقق حلم الثروة !
الفتى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلى عالمى .
الفتاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولى !
(يكور لها قبضة يده مهددا فتراجع خطوة وهى
تضحك دون إحداث صوت)

- الفتاة : الحق إن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .
- الفتى : أجل .
- الفتاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .
- الفتى : أناس هذه الأحياء طيبون !
- الفتاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .
- الفتى : إنهم يرون في الحاوى معجزة .
- الفتاة : وينوهون بالطمأنينة التي يزرعها في القلب .
- الفتى : جميع هؤلاء يجيئون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .
- الفتاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .
- الفتى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .
- الفتاة : وأنت ، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى ؟
- الفتى : كفى عن الثثرة ، الرجل مليونير ما بفي ذلك من شك .
- الفتاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .
- الفتى : هنا .. هنا ثروة طائلة !
- الفتاة : هنا ؟
- الفتى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .
- الفتاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .
- الفتى : ولكن ثمة خطر أفضح من الضرائب .
- الفتاة : ماذا تعنى ؟

الفتى : أعنى من يقومون بخدمته .
الفتاة : من يخدم أولياء الله ؟
الفتى : الشياطين !
الفتاة : هل تعنى ما تقول ؟
الفتى : أعنى شياطين الأرض .
الفتاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع
الشياطين ، هل لك امرأة أب ؟
الفتى : ماتت من زمن بعيد .
الفتاة : أهو طاعن في السن ؟
الفتى : جدا .
الفتاة : هذا يبشر بالخير !
الفتى : لا تحلمى ، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله .
الفتاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر أكثر من ذلك ، عليك
أن تقابله .
الفتى : بل علينا أن ننتظر ، إنى أعرف طبعه .
(صمت . يتمشيان ذهابا وجيئة)
(يفتح الباب إلى اليسار . يدخل غلام حاملا مبخرة .
غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا . يدور في
الحجرة حارقا البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة
ودون أن ينبس بكلمة . يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب
وهما يتابعانه بعينيهما) .

الفتى : يا غلام .
(الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتها)
الفتى : هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ ؟
الغلام : الناس جميعا يقومون على خدمته .
الفتى : وماذا تفعل أنت ؟
الغلام : إني خادم البيت .
الفتى : أنا ابن مولاك .
الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .
الفتى : وكيف عرفتني ؟
(الغلام لا يجيب)
الفتى : لم لا تجيب ؟
الغلام : أجبت يا سيدى .
الفتى : (باسم) طيب .. لقد جئت ملبيا دعوته .
الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .
الفتى : ألا تدري متى يدعونى إلى لقائه ؟
الغلام : كلفنى مولاي أن أخبرك ..
الفتى : (مقاطعا) إني أسأل متى يلقانى .
الغلام : لقد ذهب .
الفتى : أين ؟ .. ومتى ؟
الغلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .
الفتى : ومتى يعود ؟
الغلام : لن يعود .

- الفتى : أنت تهذى يا غلام .
- الغلام : سامحك الله يا سيدى .
- الفتى : ولم لن يعود ؟
- الغلام : (محنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب إلى لقاء ربه .
- الفتاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر ؟
- الغلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .
- الفتى : ولم لم يبق فى فراشه ؟
- الغلام : نذر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء .
- الفتى : ولكنك تعرف مكانه ؟
- الغلام : كلا .
- الفتى : ولماذا دعانى ؟
- الغلام : دعاك لتعود إلى بيتك القديم .
- الفتى : وهل حملك رسالة إلى ؟
- الغلام : قال : دنا الأجل ، آنلى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة .
- الفتى : التركة ؟ !
- الغلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشدك .
- الفتى : ليرحمه الله .. أعنى ليمد الله فى عمره .
- الفتاة : وأين التركة يا شاطر ؟
- الغلام : قال سيجىء غارقا فى الضلال صاحباً معه قرينة سوء .
- (صمت مع تبادل نظرات)
- الفتاة : هذا يعنى أنها فى حاجة أيضا إلى نصيب من تركته .

الفتى : ومتى تسلسنا التركة ؟
(الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط إلى يمين الكونصول)

الغلام : التركة فى خزانة حائط وراء الحصيرة .. هالك المفتاح يا سيدى .

(يتناول الفتى المفتاح ويمضى إلى الحصيرة . يهيم الغلام بمغادرة الحجرة . الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده) .

الفتاة : ابقى حتى تسلم التركة .
(الفتى يزيج الحصيرة . يفتح الخزانة . يأخذ فى إخراج كتب صفراء . ويققرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبه) .

الفتى : الحق .. مدارج الروح .. سلام القلب .
(يستمر فى إخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبه ويتهاوى بعضها إلى الأرض) .

الفتى : أين التركة ؟
الفتاة : (للغلام) أنت سرقتها !
الغلام : سامحك الله .

الفتى : (مواصلاً إخراج الكتب) أين التركة ؟
الغلام : لا علم لى بما فى الخزانة .
الفتى : كان المفتاح معك .
الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت .

(الفتى يواصل إخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى) .

الفتى : التركة !

(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفتاة : ثروة .. ثروة طائلة .

الفتى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك !

الغلام : إنه يوصيك ألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب .

الفتاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود .

الغلام : تلك كانت وصيته .

الفتى : شكرا يا غلام ، يمكنك أن تنصرف إذا شئت .

الغلام : والتركة ؟

الفتى : هل ثمة تركة أخرى ؟

الغلام : (مشيرا إلى الكتب) إنما أعنى هذه التركة .

الفتى : سننفذ الوصية بأمانة .

(الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب)

الغلام : ارفعى قدمك .

الفتاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر .

الغلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها .

الفتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين .

(الغلام يعيد الكتب إلى الخزانة ، يحملها باحترام
وهو يبكي صامتا . ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة) .

الغلام : إى دأشب .

الفتى : مصحوبا بالسلامة .

(ثم مستدركا)

الفتى : انتظر ، أنت غلام طيب ، تحب أن تشتغل عندى ؟

الغلام : أى شغلة يا سيدى ؟

الفتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا .

الغلام : فى مقهى ؟

الفتى : خمارة ، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه .

الغلام : إنى ذاهب يا سيدى .

الفتاة : مع السلامة .

(الغلام يذهب)

الفتاة : ألا ترى أن نفقشه قبل أن يرحل ؟

الفتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة .

الفتاة : علمنا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود .

الفتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق .

الفتاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله .

الفتى : الأفضل بيعه ، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهباً لو بيع
أرضا .

الفتاة : واشتر بالثمن عمارة ، ولنبيع الخمارة أيضا لنعيش
أحرارا كأبناء الذوات .

الفتى : أفكار طائشة ، سوف أنشيء ملهى ليليا يضاهى الأوبرج ..

(يظهر رجل عند الباب الأيمن . يلبس جلبابا ومعطفا . وهو ذو قامة ضخمة ، وطابع رسمى كالمخبرين . يتقدم خطوات حتى يصير على مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة . يجيل فى المكان نظرة فاحصة ، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك ؟

الرجل : هل أنت ابن ولى الله ؟

الفتى : نعم ولكن من حضرتك ؟

الرجل : مخبر من قوات الشرطة .

الفتى : أكنت على موعد مع الشيخ ؟

الرجل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .

الفتى : كيف عرفت ذلك ؟

الرجل : أسلم الروح فى الخلاء ، فيما وراء مسكنى ، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الفتى : وأين جثمانه ؟

الرجل : فى المشوى الذى سئمضى إليه جميعا ، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك ، ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الفتى : وماذا تريد حضرتك ؟

- الرجل : جئت لأذهب بك إلى القسم .
الفتى : لماذا ؟
الرجل : أنت متهم بقتل أهلك .
الفتى : دعابة ولكنها ثقيلة !
الفتاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .
الرجل : أنت متهم بقتل أهلك .
الفتى : كف عن ترديد هذا السخف .
الرجل : شهادته وهو يحتضر ، وأنا أعرفه منذ قديم ، صرح
لى قبل صعود روحه بأنك قتلته !
الفتى : محض افتراء وهذيان .
الرجل : الميت لا يكذب ، وهو ولى من أولياء الله .
الفتى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .
الرجل : قال « إني أموت مطعوناً بيد ابنى الوحيد » .
الفتاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .
الفتى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة ؟
الرجل : لنترك ذلك إلى التحقيق .
الفتى : أى تحقيق يا رجل ؟ إني لم أره منذ عشرات السنين .
الرجل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن
تراه ؟
الفتى : المال ميراثى الشرعى .
الرجل : هل علمت بوفاته ؟
الفتى : كلا .

- الرجل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهو حي في ظنك ؟
- الفتى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .
- الرجل : أين غلامه ؟
- الفتى : ذهب .
- الرجل : استدعه ليدلى بأقواله .
- الفتى : لا أدرى أين ذهب .
- الرجل : هلم معى إلى القسم .
- الفتى : لا جريمة هناك ألبتة .
- الرجل : قتلت أباك وسرقت الدولة .
- الفتى : الدولة ؟
- الرجل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه ؟
- الفتى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد !
- الرجل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .
- الفتى : أؤكد لك أن التحقيق سيسفر عن براءتى .
- الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .
- الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه ؟
- الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة !
- الرجل : إنك رجل شرير .
- الفتى : أنت متجاهل وسيء الظن .

الرجل : كلفت بمهام كثيرة في مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفتى : أنا تاجر شريف .

الرجل : هلم معي ولا تدفعني إلى الضحك في بيت ميت .

الفتاة : كن لطيفا ودعه في حاله .

الرجل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة !

الفتاة : أنا ؟ !

الرجل : أنت شريكته في الجريمتين .

الفتى : أنا بريء (يتناول رزمة من النقود ويضعها في يد

الرجل) وهذا المال مالي .

الرجل : أترشوني يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة ؟

الفتى : معاذ الله ، ولكنني أؤدي حق الدولة على .

الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة .

(الفتى يعطيه رزمة أخرى)

الفتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار

المستحق .

الرجل : والقضية وتكاليفها ؟ .. والتحفظ على المال وتعرضه

للضياع ؟

الفتى : أعتقد أنني أعطيت ما فيه الكفاية .

الرجل : أتعاب المحاماة ؟ .. الرسوم ؟ .. سجنك ؟ .. تعرض

عملك الذي ترتزق منه للخسران ؟

(الفتى يعطيه رزمة ثالثة)

الفتى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .
الرجل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك ..
(صمت وتبادل نظرات حائرة)
الرجل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد ؟
الفتاة : إننى زوجته .
الرجل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى
الضحك على ذقنى .
الفتى : لقد أعطيت فدية لكلينا .
الرجل : بل فدية لك وحدك !
الفتى : ماذا تريد ؟
الرجل : الأتعاب الخاصة بالسيدة .
(يعطيه رزمة رابعة)
الفتى : هاك رزمة رابعة .
الرجل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .
الفتى : أتريد أن تستولى على نصف التركة ؟
الرجل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحررتك .
(يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة)
الفتى : تفضل مصحوبا بالسلامة .
(الرجل يدير ظهره ليذهب . الفتى يستل من ملابسه
مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل . الرجل حذر
وكان يتوقع حركة غادرة فيتفادى من الطعنة ويقبض
على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض .

يجيء بكرسى فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه حبلا
ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمة ، وهو يهدد
الفتاة بأنها إذا ندت عنها حركة أو صوت فسوف
يساقان إلى القسم .

ثم يجيء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مهددا
ويكبلها بحبل آخر . يتجه نحو النقود على الخوان
فيستولى عليها ثم يلفها في الحصيرة . يلقي عليهما نظرة
ثم يذهب .

الفتى يفيق من أثر اللكمة . ينظر فيما حوله . يتذكر
ما وقع . يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الفتى : ذهب ؟

الفتاة : بعد أن استولى على النقود كلها ..

الفتى : (غاضبا) لم لم تصوتى ؟ .. كان يجب أن تصوتى
بأعلى صوتك .

الفتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا .

(يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة)

الفتى : سأقتله ولو اختفى في بلاد الوراق .

الفتاة : تهورك هو المسئول عما حل بنا ، لم حاولت الهجوم
عليه ؟

الفتى : ليس من مبادئى أن أسمح لإنسان باستغفالى .

الفتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الفتى : سيكون التنكيل به هدفى الأول فى الحياة .

- الفتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .
- الفتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .
- الفتاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .
- الفتى : المهم الآن أن تتحرر من قيدنا .
- الفتاة : نحن مقيدان في بيت مغلق النوافذ والأبواب .
- الفتى : ويعز علىّ أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .
- الفتاة : هي الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك .
- الفتى : لم يعبث بى أحد من قبل .
- الفتاة : ها قد عبث بك كأنك لا شيء .
- الفتى : أين المفر ؟.. إنه يعمل في دائرة هذا القسم .
- الفتاة : إذا كان حقا مخبرا .
- الفتى : ولم لا يكون مخبرا ؟
- الفتاة : كان يجب أن تطالبه بإبراز بطاقة الشخصيّة .
- الفتى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .
- الفتاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إله ثم تقع كالرطل .
- الفتى : كيف أصدق ما حصل ؟
- الفتاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .
- الفتى : هو مجرم محترف على أى حال .
- الفتاة : ويخيل إلىّ ... ربما لم يكن إنسانا أيضا !
- الفتى : ماذا تعنين ؟
- الفتاة : أعني أننا في بيت ولي ، وهو وكر للأرواح والشياطين .

الفتى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .
الفتاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .
الفتى : جاء كما يجيء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .
الفتاة : أنت لا تحسن الرؤية عند الانفعال .

الفتى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .
الفتاة : لنفكر فى حالنا ، نحن مقيدان بطريقة جهنمية ، البيت
محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا
أحد ، الجو هنا لا أرتاح إليه ، فثمة روح ميت لعله
لم يدفن بعد ، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا
سيطرة لنا عليها .

الفتى : يا مجنونة ، يا مخرفة ، ما هذا الهذيان ؟
الفتاة : أنا خائفة .

الفتى : عهدتك دائما عريضة ساخرة فكيف خاتتك جراتك
الداعرة ؟

الفتاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك ؟ ، جثة أبيض الآن فى
المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول ، ولن ينبس
المخبر — إذا كان حقا مخبرا — بكلمة ، وسيظل
البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير ولكنه يكفى لقتلنا
جوعا وعطشا ، وهناك الأرواح .

الفتى : الأرواح !
الفتاة : أنا خائفة ..



الفتى : كيف فيدنا بهذا الإحكام ؟ .. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل .

الفتاة : وقد يراجع للإجهاز علينا .

الفتى : فليرجع .

(صمت تتخلله محاولة منه يأسه لفك قيده ولكن

دون جدوى)

الفتاة : كأننا فى حلم .

الفتى : ولكنه أسخف من الحقيقة .

الفتاة : أحيانا يكاد يغلبنى الضحك .

الفتى : اضحكى إن استطعت .

الفتاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء

أخف وطأة من هذا السجن فى بيت أيبك .

الفتى : ليرحمه الله .

الفتاة : ادعه أن ينقذنا .

الفتى : (ساخرا) أبانا الذى فى المشرحة .. أتقذ ابنك

الوحيد .

الفتاة : ماذا كان رأيك فى أيبك ؟

الفتى : كان دجالا كوحيده .

الفتاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .

الفتى : حارة مخبولة مسطولة .

الفتاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقة .

الفتى : رد إلى ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .

- الفتاة : لم نكن فقراء ، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .
- الفتى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هي ملتقى المغامرین ،
واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة ، في حي
مكتظ بالأعداء ، ووراء ذلك كله إحساس ثابت
بالمطاردة ؟ ! .. كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله .
(دقيقة صمت)
- الفتاة : سيجيء الظلام ونحن مكبلون بالحبال في هذا البيت
المسكون .
- الفتى : لا فرق بين النور والظلام .
- الفتاة : كيف نخرج من هذا المأزق ؟
- الفتى : اصرخى .. صوتك أحدٌ من الرصاصة .
- الفتاة : لن يسمعنا أحد .
- الفتى : علينا أن ننتظر حتى يجيء إنقاذ من حيث لا ننتظر أو
يجيء الموت .
(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)
- الفتاة : لم دعاك أبوك ؟
- الفتى : مات سره معه .
- الفتاة : ماذا ظننت ؟
- الفتى : قلت لعله حنين قلب عجوز .
- الفتاة : لم تقل كل الحق .
- الفتى : وحلمت بثروة !
- الفتاة : وقد وهبك ثروة .

- الفتى : وضاعث .
- الفتاة : ولكنه أراد أيضا أن توث عمله .
- الفتى : فكرة سخيفة .
- الفتاة : كان يجب أن تجاريه ولو في الظاهر .
- الفتى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .
- الفتاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .
- الفتى : أراهن على أنك فقدت عقلك .
- الفتاة : هل حاول أن يلقتك سره وأنت صغير ؟
- الفتى : نعم .
- الفتاة : ولكنك عصيته ؟
- الفتى : لو أطعته ما صادفتنى في طريقك أبدا .
- الفتاة : (تضحك .. ولا تنبس)
- الفتى : حاول معنى كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكى المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى ..
- الفتاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة .
- الفتى : ورثت عنه الدجل لأستثمره في مجاله الطبيعى .
- الفتاة : لم أسمع أحدا يثنى عليك مثله .
- الفتى : إلى أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .
- الفتاة : رأسى يدور .
- الفتى : الحياة الحققة تقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شيء ولكن لا بد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدون ؟

الفتاة : أن أخرج من هنا سالمة .
الفتى : سنخرج عاجلا أو آجلا .
الفتاة : عما قليل سيجيء الظلام .
الفتى : فليجىء الظلام .
الفتاة : أنت المسئول عما وقع .
الفتى : أنت جبانة .
الفتاة : وأنت وغد .
الفتى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .
الفتاة : أو حتى يحل بنا الموت .
الفتى : أو حتى يحل بنا الموت .
(الفتاة تبكى من القهر . وهو يضحك ضحكة عصبية)
الفتاة : إنه يؤدبك .
الفتى : من ؟
الفتاة : أبوك .
الفتى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .
الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .
الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شيء .
الفتاة : وها قد وقعنا فى الفخ .
الفتى : فخ لم ينصبه أحد ولكننا وقعنا بسوء تصرفنا .
(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء . لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)

- الفتاة : بدأ الليل يهبط ..
- الفتى : ليس فى وسع شىء أن يمنعه .
- الفتاة : كان فى وسعنا على الأقل ..
- الفتى : (مقاطعا فى تهكم) كان يا ما كان ..
- الفتاة : أكره الظلام ، أكره الأغلال ، وسوف أجن .
- الفتى : جربى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .
- الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنتك لم تنعم عمرا بحبى .
- الفتى : عودى إلى توازنك لتفاهم كما تفاهمنا دائما .
- الفتاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر ، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .
- الفتى : لم يكن ثمة فردوس فى الماضى ، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هى .
- الفتاة : الظلام يتمادى فى الاقتراب .
- الفتى : فليأت الظلام .
- الفتاة : إنك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .
- الفتى : اللعنة .. فى هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط فى الحمارة .
- الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة !
- (يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام الحجرة ويختفى الفتى والفتاة . الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت)
- الفتاة : ألا تحفظ تلاوة لدفع بها الشياطين بعيدا ؟

الفتى : لا أحفظ شيئاً .
الفتاة : إني خائفة .
الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .
الفتاة : ولكنى خائفة .
الفتى : أنا قريب منك .
الفتاة : ولكنى لا أراك .
الفتى : فلنغن أغنية بديئة لنهزأ بالظلام .
(الفتاة تصرخ . صمت يتخلله بكاء خافت . ضسوء
يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى اليسار)
الفتاة : ألا ترى ؟ .. نور فى الداخل ، يوجد شخص ، البيت
مسكون !
الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل ؟
الفتاة : مفاصلى سابت .
الفتى : من بالداخل ؟
(يفتح الباب . يظهر الغلام وييده مصباح . يتقدم ثم
يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة)
الفتى : أنت ! .. أكنت بالداخل طيلة الوقت ؟
الغلام : ظننت أنكما ذهبتما .
الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال ؟
الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسكما ؟
الفتاة : هل تسخر منا يا غلام !
الفتى : أكنت موجودا بالداخل ؟ .. أعنى ألم تغادر البيت ؟

- الغلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .
الفتى : لماذا ؟
الغلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .
الفتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا .
(الغلام يمضى إلى الكونصول فيضع المصباح ويتجه
راجعا نحو الباب) .
الفتى : يا غلام .
(الغلام يتوقف)
الفتى : تعال .
الغلام : ماذا تريد يا سيدى ؟
الفتى : كيف لا تدري بما نريد ؟
الغلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا
أهملت تركته .
الفتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .
الغلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاي أمرا .
الفتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبيلى ..
الفتى : وأنا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا
المأزق .
الغلام : لن أعصى لمولاي أمرا .
الفتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .
الغلام : سامحك الله .
الفتاة : لص أثيم نهب ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .

الغلام : على أن أذهب .
الفتى : لا تغضب مولاك في قبره .
الغلام : مولاي ارتفع إلى السماء .
الفتى : لا تغضب مولاك في سمائه .
الغلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .
الفتى : أعتقد أنه يرضيه أن تترك هكذا دون مساعدة ؟
الغلام : لا أدري .
الفتى : أؤكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .
الغلام : لا أدري .
الفتى : أقدم ولا تخف .
الغلام : لن أعصى لمولاي أمرا .
الفتاة : من أجل خاطري ، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .
الغلام : إني ذاهب .
الفتى : انتظر ، .. ألا ترى ، إني أريد تركة أبى الحقيقية
الغلام : أنت تعلم بمكانها .
الفتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال إليها .
الغلام : سبق أن نبذتها .
الفتى : أنا نادم على ذلك !
الغلام : لن أعصى لمولاي أمرا .
(الغلام يستأنف السير)
الفتاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة .

(الغلام يواصل السير دون مبالاة)

الفتى : هل ستبلغ الشرطة ؟

الغلام : كلا .

(الغلام يختفى ثم يعلق الباب)

الفتى : ملعون ابن ملعون ..

(الفتاة تعاود البكاء)

الفتى : كفى .. كفى وإلا ..

الفتاة : قضى علينا بالهلاك .

الفتى : لقد رجع الغلام ، وربما رجع مرة أخرى ، ولعل

غيره يجيء .

(صمت قصير ثم يواصل حديثه)

الفتى : يخيل إليّ أن العجوز استدرجنى إلى بيته لينكل بى .

الطيبة كانت حرفته لا طبيعته ، وآى ذلك أثنى منحدر

من صلبه ، غير معقول أن تكون أُمى مسئولة وحدها

عن دُمى العرييد ، ولبيت نداءه وأنا فى غفلة من مكره

فتتابعت الأخطاء ..

الفتاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون !

الفتى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة فى الشر .

الفتاة : ليس الغلام غلاما ولا المخبر مخبرا .. وسوف تقع

كوارث ليست فى الحسبان .

الفتى : فلتقع الكوارث بغير حساب .
(صمت .. ثم تنزل الستار)

ترفع الستار . ضوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصباح
ما زال مشتعلًا . الفتى والفتاة نائمان ورأساهما
مطروحان على مسندى الكرسيين .
يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو
يغلق .

بدخل رجل فخم أنيق الملبس ولكننا نعرف فيه المخبر
فى ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط
من الشرطة .

الفتى والفتاة يستيقظان . يبدو عليهما الإرهاق .
ينظران إلى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة
الشخص الفخم .

الضابط : من أتما ؟ .. ومن فعل بكما ذلك ؟

الفتى : من حضرتك ؟

الضابط : ضابط النقطة .

الفتاة : أتقذا من فضلك .

(الضابط يحل وثاقهما . يقفان وهما يتأوهان .

يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)

الضابط : من أتما ؟

الفتى : أنا ابن صاحب البيت ، أعنى ولى الله المتوفى .

الفتاة : وأنا زوجه .

الضابط : ماذا حدث لكما ؟

الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .

الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل

الفتى : هل أبلغك الغلام عنا ؟

الضابط : أى غلام ؟

الفتى : غلام الشيخ المتوفى .

الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى

يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال لا وريث له !

(الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح

فى وجهيهما الدهشة والانزعاج . يتبادلان النظرات

ثم يحدقان فى المهندس بذهول)

الضابط : مالك ؟

المهندس : لماذا تنظران إلىّ هكذا ؟

الفتى : أنت !

الفتاة : هو .. جسمه وصوته ووجهه .

المهندس : ماذا تعنيان ؟

الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم !

(ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان

بينهما . المهندس يتراجع دهشا مستكرا)

الضابط : أى مجرم تعنى ؟ .. المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .

الفتى : هو المخبر .. هو اللص .. هو الذى سرقنا ..
(المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)

الضابط : اضبط لسانك .

السكرتير : يا لها من نكتة !

الضابط : مرت بك ولا شك ليلة تعيسة .

الفتاة : هو المخبر .

الفتى : هو المجرم .

الضابط : كفى هذيانا !

المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا
ليلتهما فى هذا البيت .

الفتى : لا تحاول خداعى .

الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه
أجل الخدمات فى ميدان الهندسة .

(الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)

الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه ؟

الضابط : كلا على وجه اليقين .

المهندس : تمالك نفسك من فضلك ، لقد عانيت ليلة غاية فى

السوء ، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما

يمثلنى فى بعض الصفات والخصائص ، وأنت نفسك

تمثل المرحوم أباك فى بعض ملامحه رغم تناقض

منهجك في الحياة فيما يبدو لي ، وسوف يقبض
الضابط على المجرم ويرد إليك مالك . هل فقدت
مالا كثيرا ؟

الفتى : أنت أدري بمقداره .
الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى !
الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذي اعتدى
علينا .

الضابط : كف عن هذيانك ، من صالحك أن تكف عنه .
السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر في نفوس الشباب ، فإذا
تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقه الدفين
آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط
الناجح من الرجال الممتازين في المجتمع ..

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان ؟
الفتى : إني ضحية وقد حلت بنفسك وثاقي .
الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد .
المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز
مهمتي .

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك ؟
المهندس : إني أرغب في شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه
مصنعا للأجهزة الإلكترونية .
الفتاة : ألم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته ؟

المهندس : حاولت ، وعرضت عليه بيتا جديدا في مطلع الحى ،
ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها !

الفتى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه ؟

المهندس : أجل ، وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا !

الفتى : أنت إذن ..

(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكملة
كلامه ، وتنتحى به جانبا)

الفتاة : تمالك نفسك .

الفتى : لكنه هو عينه .

الفتاة : لندع ذلك للتحقيق ، المهم الآن بيع البيت .

الفتى : سيشتري بمالى .

الفتاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص .

الفتى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى !

الفتاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك .

(يعودان إلى الجماعة)

الفتاة : اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى
أبيه الطيب !

المهندس : ليرحمه الله رحمة واسعة .

الفتى : أكنت تؤمن به ؟

المهندس : كنت أحبه .

الفتى : هل شهدت احتضاره ؟

المهندس : لكنى مشيت فى جنازته ، أين كنت أنت ؟

الفتى : كنت موثقاً بحبال المجرم الأثيم .
المهندس : حضرة الضابط كفيل باسترداد ثروتك الضائعة ،
وما عليك الآن إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التي
بشر بها أبوك .

الفتى : ولكنك لم تؤمن به ؟
المهندس : (ضاحكاً) كان يقول لى « الطمأنينة هى هدف
النفس البشرية » فأقول له « بل انتقدم يا مولانا
ولو بالجهد والقلق » .

الفتى : ولو بالاعتداء والنهب !
الفتاة : نعد إلى مشروع المصنع .
المهندس : ثبت الآن أن للبيت وريثاً ، وعليه فلا بد من انتظار
الاجراءات الخاصة بإثبات الوراثة .

الفتاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف
الصحراء ، ولا تنس أثاثه القديم النادر !
المهندس : لا حاجة بى إلى الأثاث .

الفتاة : والكتب التى صنعت المعجزات ؟
المهندس : لدىّ ما أحتاج من كتب ومعجزات !
الفتاة : أظن أنّ لنا أن نتكلم عن الثمن .

المهندس : لن أبخسكم حقكم ، وسنتكلم عن ذلك فى حينه .
(المهندس يستأذن فى الانصراف . وقبل أن يذهب
يلتفت إلى الفتى ويسأله)

المهندس : وأنت .. ما مهنتك ؟

الفتى : صاحب خمارة .

المهندس : (ضاحكا) لست مقطوع الصلة بأبيك ، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا .

(المهندس وسكرتيه يذهبان)

(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الضابط : آن لنا أن نبدأ التحقيق .

ستار

الزجاج



حجرة جلوس . فى الوسط مدفأة حائط مشتعلة . إلى اليمين من المدفأة باب حجرة النوم وإلى اليسار منها باب حجرة المكتب . فى نهاية الجانب الأيمن لحجرة الجلوس باب هو باب الشقة . إلى اليسار يوجد بار وتلفزيون . رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة ، يرتدى روبا ، ويطالع فى كتاب .

جرس الباب الخارجى ىرن بغتة رنينا متواصلا .

يقوم الرجل إلى الباب ، يفتحه ، تندفع إلى الداخل امرأة جميلة مرتدية معطفا ويدها حقيبة . تندفع وكأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث . الرجل ينظر إليها بدهشة ودون أن يغلق الباب . واضح من نظراته أنه لا يعرفها ولم يكن ينتظرها .

الرجل : (بتردد وارتباك) لا مؤاخذه .. حضرتك ؟

المرأة : (بلهفة) أغلق الباب ، من فضلك أغلق الباب .

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الرجل : وحدك ؟

المرأة : نعم .

(يقفان وهما يتبادلان النظرات)

المرأة : إنى مرهقة ، تسمح لى بالجلوس ؟

الرجل : تفضلى .

(يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة . تسند المرأة رأسها إلى يدها إعياء (يعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس . الرجل يتفحصها بدهشة ، ويبدو - رغم غرابة الموقف - أن محاسنها أثرت فيه بعض الشيء) .

الرجل : أنا وحدي ، ذهبت الخادم عقب إعداد العشاء . ولكني سأجيئك بكوب ماء .
(يقوم إلى البار فيملأ كوباً من دورق ثم يقدمه إليها . المرأة تشرب نصفه ثم تضعه على خوان بين المقعدين)

المرأة : آسفة جداً لإزعاجك .

الرجل : أنا في خدمتك ..

المرأة : شكراً .

الرجل : يلزمك شيء ؟

المرأة : أكرر الأسف ، الواقع أنني لا أدري ماذا أقول .
(صمت)

المرأة : سلوكي يتطلب تفسيراً ولكني لا أدري ماذا أقول .

الرجل : استردي أنفاسك أولاً .

المرأة : ماذا أقول ؟ ، مهما يكن فإني أتوسل إليك أن تكرمني ..

الرجل : وهل في ذلك شك ؟

المرأة : أعني أن تعاملني معاملة تليق بامرأة في أشد حاجة إلى ..



الرجل : إلى ؟

المرأة : الحماية !

الرجل : ماذا يهددك ؟ ...

(صمت)

الرجل : (مستدركا) لكنى لم أتشرف بعد ؟

المرأة : لا يهم هذا على الإطلاق .

الرجل : ولكنه ضرورى فيما أعتقد .

المرأة : كلا ، لن يقدم ولن يؤخر !

الرجل : لن أضايقك ، ولكن ثمة سؤال آخر ، هل قصدتنى

بالذات ؟ .. هل تعرفيننى ؟

المرأة : بابك أول باب يفتح لى ، هذا كل ما هنالك ..

الرجل : هل طرقت أكثر من باب ؟

المرأة : نعم .

الرجل : ماذا يهددك ؟

المرأة : أكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى !

الرجل : (بقلق) هل يتوقع مجيء من يتعقبك ؟

المرأة : نعم .

الرجل : رجل أم امرأة ؟

المرأة : رجل !

الرجل : (بعد تردد) زوجك ؟

المرأة : كلا .

الرجل : صديق ؟ .. قريب ؟

- المرأة : ألا تتكرم بحمايتي دون تحقيق ؟
- الرجل : ولكن ..
- المرأة : (مقاطعة) لعلك تعمل حساب أهل بيتك ؟
- الرجل : لا يوجد الآن في البيت سوى .
- المرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك ؟
- الرجل : لست متزوجا .
- المرأة : تنتظر ولا شك أحدا ممن يقيم معك ؟
- الرجل : إنني أقيم هنا بمفردي .
- المرأة : عظيم ، ستكون المهمة سهلة لو تكرمت بالموافقة .
- الرجل : ولكن يلزمني بصيص نور .
- المرأة : لن يمسك سوء !
- الرجل : ولكني أود أن أعرف المسؤولية التي سأتحملها !
- المرأة : لن تمضي ساعات حتى أغادر مسكنك إلى الأبد كأني شيء لم يكن .
- الرجل : (مداريا ارتبأكه بابتسامة) ستظلين شيئا لا يمكن نسيانه .
- المرأة : غزل أم تحقيق ؟
- الرجل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .
- (صمت)
- الرجل : إذا شرفتنى وقتا ثم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج ، ولكن إذا جاء أحدهم يتعقبك فيلزميني بصيص نور قبل أن أنكر وجودك .

المرأة : لن تقع عليك مسئولية ما .
 الرجل : بل قد أجز إلى متاعب لا تخطر ببال !
 المرأة : لا تهول .
 الرجل : لا تتركينى فى ظلام .
 (صمت)
 الرجل : أرجوك ، لا تضطرينى إلى ..
 المرأة : إلى تسليمى لأول طارق !
 الرجل : أرجو أن تفهمى موقعى جيدا .
 المرأة : إنى أعلق بأمل وحيد ، ببقية من الشهامة البطولية
 القديمة .
 الرجل : من المؤسف أن عهد الفروسية والملاحم قد ولى ..
 المرأة : فى حالات اليأس يفزع القلب إلى زمن الأساطير !
 الرجل : أنا يا سيدتى رجل لا أسطورة ..
 (صمت)
 الرجل : فكرى من فضلك وأجيبى ..
 المرأة : ولكنى عاجزة تماما .
 الرجل : قبل أن تقوت الفرصة ؟
 المرأة : كن كريما إلى النهاية .
 الرجل : (غاضبا) إنى أشم رائحة مقلقة للأعصاب .
 المرأة : أى رائحة ؟
 الرجل : جريمة ما !
 المرأة : لا تدفعنى إلى الانتحار !

الرجل : ماذا فعلت ؟

(جرس الباب يرن . المرأة تقف فزعاً . تهرع إلى باب حجرة النوم . تدخل ثم تغلق الباب من الداخل . الرجل يحاول فتح الباب فلا يستطيع . الجرس يرن مرة أخرى)

الرجل : افتحي .

المرأة : كن كريماً .

الرجل : لا تجريني إلى مأزق .

المرأة : كن رحيماً .

الرجل : سأصرف كما ينبغي لى .

المرأة : إذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة .

الرجل : أنت مجنونة !

المرأة : أنا عاقلة جداً .

الرجل : إنك تجازينى خير جزاء .

المرأة : إنى آسفة ولكننى مضطرة !

الرجل : انتظرى .. لا تتعجلى .

(يذهب إلى الباب لاعنا متسخطاً . يفتح الباب .

يدخل رجل ضاحكاً ثم يرد الباب)

الصديق : كنت نائماً ؟

الرجل : أنت ! .. عليك اللعنة !

الصديق : يا له من استقبال .

(يتجهان نحو المدفأة)

الصديق : ماذا حدث في العمارة ؟
الرجل : لا شيء !
الصديق : وأنا قادم إلى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر
العمارة ، لم أستطع المرور إلا بعد س و ج .
الرجل : حقا !.. ماذا حدث ؟
الصديق : لم أفهم شيئا ، لم يرد على أسئلتى أحد ، ولكن
ثمة حادث أو جريمة ، والأمر المؤكد أنهم يبحثون
عن امرأة هاربة .
الرجل : أين ؟
الصديق : في مكان ما بالعمارة ، العمارة محتلة بالقوات ، ألم
تشعر بشيء ؟
الرجل : أبدا .
(يجلسان . الصديق يجلس في مكان المرأة . يتشمم
الجو بدهشة)
الصديق : رائحة امرأة !
الرجل : ترى أي جريمة وأي امرأة ؟
الصديق : لا تشغل بالك ، ستعرف كل شيء صباح الغد ،
ولكني أقول إنه توجد رائحة امرأة .
الرجل : رائحة امرأة ؟
الصديق : رائحة زكية ، هل عندك حبوبة ؟
الرجل : كلا .
الصديق : وهذه الرائحة ؟

الرجل : كان ثمة صديقة تزورنى ..
الصديق : مبارك عليك ، ولكن مالك ؟
الرجل : على خير مايرام .
الصديق : كلا ، لست كعادتك ..
الرجل : لعله البرد .
الصديق : (مشيرا إلى المدفأة) إنك تنعم بفردوس فى هذا
الشتاء القاسى .
(صمت)

الصديق : أهى ممن أعرفهن ؟
الرجل : من تعنى ؟
الصديق : المرأة التى كانت هنا .
الرجل : كلا .
الصديق : ولم انصرفت مبكرة ؟
الرجل : يكفى تحقيق واحد فى العمارة .
الصديق : ذكرتنى ، ترى ماذا حدث ؟
الرجل : أجل ، ماذا حدث ؟
الصديق : إنك تعرف عن فتنام أكثر مما تعرف عن شقة مجاورة
فى عمارة حديثة .
الرجل : أى جريمة ؟ .. وأين اختفت المرأة ؟
الصديق : لا تشغل بالك ، الجرائم وجبات يومية .
الرجل : والمرأة ؟
الصديق : قاتلة .. شريكة فى جريمة قتل .. سر جريمة ما .

الرجل : وأين يمكن أن تختفى ؟
الصديق : لعلهم عثروا عليها ، إلا إذا كانت أصلا من سكان
العمارة .

الرجل : فكرة .
الصديق : أو تكون لجأت إلى شقة ما .

الرجل : ولكن من ذا الذى يؤوى امرأة غريبة مطاردة ؟
الصديق : لا أحد فى اعتقادى إلا إذا كان له ضلع فى الحكاية .
(الرجل يقوم . يتعد إلى جناح الحجرة البعيد عن
حجرة النوم . يشير إلى صاحبه أن يتبعه فيلحق به)
الرجل : (هامسا) أنا واقع فى مشكلة .

الصديق : أى مشكلة ؟

(جرس الباب يرن)

الصديق : هل تنتظر أحدا ؟

(الرجل يمضى إلى الباب بعد تردد . يفتح)

صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول ؟

الرجل : تفضل .

(يدخل ضابط . يقدم نفسه)

الضابط : نحن نبحث عن امرأة هاربة فى العمارة .

(الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل)

الرجل : أية امرأة ؟

الضابط : امرأة هاربة ، ويهم الأمن العام القبض عليها .

الرجل : لم يلجأ إلى شقتى أحد .

الضابط : حضرتك رب الأسرة ؟
الرجل : إني أقيم بمفردي هنا ، (ثم مشيراً إلى صديقه)
هذا صديق زائر .

الضابط : تسمح لي بالبطاقة الشخصية .
(الرجل يذهب إلى حجرة المكتب ثم يعود بالبطاقة .
الضابط يقرأها بعناية . ثم يقدم له ورقة مكتوبة
ويقول)

الضابط : هذا إقرار بأن المرأة لم تلجأ إلى شقتك هذا المساء ،
وقعه بإمضائك ، وأود أن أذكرك بخطورة الأمر
إذا ثبت ما يخالفه .

(الرجل يوقع الإقرار . الضابط يتناوله وينصرف .
الرجل يغلق الباب . يعود إلى صديقه حيث كان
يقف في وسط الحجرة)

الصديق : الظاهر أن الجريمة أخطر مما تتصور .
الرجل : ليست إلا إجراءات روتينية .
الصديق : لا تشغل بالك ، كنت تتحدث عن مشكلة .
الرجل : مشكلة ؟ !

الصديق : الضابط شتت عقلك .

الرجل : ربما .

الصديق : لنعد إلى مشكلتك .

(صمت)

الصديق : ألا تريد أن تحدثني عن مشكلتك ؟

الرجل : جدّ ما هو أهم .
الصديق : لا تشغل بالك بهموم لا تخصك .
الرجل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة أمرا بالتفتيش
العام إذا لم تعثر على المرأة ؟
الصديق : جائز .
الرجل : وقد يفتشون شقتي !
الصديق : إنه احتمال ضعيف على أى حال .
الرجل : ولكنه جائز .
الصديق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المخرجة .
الرجل : كيف ؟
الصديق : النافذة .
الرجل : العنارة محاصرة .
الصديق : النار .
الرجل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق .
الصديق : أنت مجنون ، طالما حذرتك ، ولكن احتمال التفتيش
احتمال ضعيف ، إنها امرأة وليست إبرة وسيعثرون
عليها عاجلا ..
الرجل : تستطيع أن تقدم لى خدمة .
الصديق : اسمع ، أنت تعلم أنه لا شأن لى بهذه الأمور
الخطرة ، دع صداقتنا فى المنطقة البريئة .
الرجل : نحن فى زمن الخوف من الشرطة ، أما شهامة
الأساطير فقد ولى زمانها !

الصديق : اخوف شيء حقيقى ، أما الأساطير .. !
(صمت)

الصديق : اود أن أطمئن عليك .

الرجل : دون أن تقدم خدمة ما .

الصديق : كلانا يعرف الحدود التى يتحرك فيها الآخر .

الرجل : إنى فى حاجة إلى الانفراد بنفسى وكل ما أطلبه منك
أن توافينى بأية معلومات جديدة بالتليفون .

الصديق : بمجرد عودتى إلى مسكنى ..

(يتصافحان . يوصله حتى الباب الخارجى . يغلق

الباب ثم يعود مسرعا إلى باب حجرة النوم) .

الرجل : سيدتى .. تعالى .. لا أحد بالشقة سوى .

(تفتح الباب . تخرج . يقفان وجها لوجه)

الرجل : إنك تلقين بيأسك فوق رأسك .

المرأة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .

الرجل : سيعودون للتفتيش .

المرأة : لا تهتم بى فإنى أعرف كيف أتصرف .

الرجل : إنى أهتم بنفسى فى الواقع .

المرأة : هذا حقك وإنى آسفة لحد الموت .

الرجل : إنك تخلقين لى مشاكل ومضاعفات .

المرأة : لم تعد بيدى حيلة .

الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟

(صمت)

الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟
المرأة : إنهم يبحثون عن كثيرين .. !
الرجل : شركاءك ؟ !
المرأة : وغيرهم ..
الرجل : (محتدا) ماذا تعنين ؟
المرأة : (باسمة) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .
(صمت وهو ينظر إليها غاضبا)
الرجل : تهددينى ؟ !
المرأة : ربما كنا فى الهوى سوا .
الرجل : افتراء .
المرأة : آسفة .
الرجل : أنا رجل محترم .
المرأة : وأنا امرأة محترمة .
الرجل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا .
المرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم .
الرجل : هل نمضى الوقت فى جدل وسمر ؟
المرأة : إني آسفة وحزينة .
الرجل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة .
المرأة : لم لم تفعل ؟
الرجل : أعترف بأننى لم أحسن التصرف .
المرأة : بل أحسنت التصرف وإلا لأثرت الشبهة فى وجود
علاقة بينك وبين المرأة المنتحرة .

- الرجل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال .
- المرأة : ربما ، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه ، ترى ماذا
تخوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة ؟
- الرجل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام .
- المرأة : أو فى غاية من اليأس .
- الرجل : ماذا ارتكبت ؟
- المرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ ولكن الشرطة تصفه بأنه
جريمة ، وأنت ؟
- الرجل : لا أسمح لك بالتحقيق معى ، ولكن أخبرينى أى
جريمة ارتكبت ؟
- المرأة : ما أهمية ذلك ؟ .. أى تحسن يمكن أن يضيفه إلى
موقفنا ؟
- الرجل : هل عرفوا شخصك ؟
- المرأة : محتمل جدا .
- الرجل : ليس مؤكدا ؟
- المرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شىء مؤكد .
- الرجل : جربى أن تغادري شقتى بوصفك امرأة أخرى .
- المرأة : لن يدعونى أمر دون تحقيق ، وغالبا يوجد مخبر فى
الطريقة الخارجية ، وسيجرونك للتحقيق ، وسوف
تكشف الحقيقة .
- الرجل : أى حقيقة ؟
- المرأة : حقيقتى وحقيقتك .

- الرجل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة .
المرأة : معذرة .
الرجل : أنت تؤجلين الخطر ليس إلا .
المرأة : لا حيلة لى .
الرجل : لو كنت مكانك .. !
المرأة : لو كنت مكانى .. ؟
الرجل : لسلمت نفسى إلى الشرطة ..
المرأة : هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك .
الرجل : ولمشكلتك أيضا ما داموا سيحيئون فى النهاية حتما .
المرأة : ليس حتما !
الرجل : (غاضبا) ولكنك تراهنين بحياتى !
المرأة : أمر مؤسف حقا ولكننى أفضل الانتحار على التسليم ..
الرجل : افعلى بنفسك ماتشائين ولكن بعيدا عنى ..
المرأة : ليتة ممكن !
الرجل : أى قدر قذفنى بك .
المرأة : هو الذى رمانى إليك .
(تضحك ضحكة عصبية)
الرجل : تمزحين كما لو أنك فى حفل استقبال .
المرأة : إذا اقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .
الرجل : ولكن الأمل لم ينقطع بعد .

المرأة : حقا ؟

الرجل : أستطيع أن أطرده .

المرأة : سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع في يدي ...

الرجل : تهددينني ؟

المرأة : موقف مؤسف مخجل ولكنني لم أخلقه بإرادتي .

الرجل : أنت مجرمة بالسليقة .

المرأة : (باسمه) لعنا من سليقة واحدة .

الرجل : (ثائرا) لتنشق الأرض وتبلعك .

المرأة : أول مرة يعاملني رجل هذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقتداً بأعصابه ليشدها ناحية

الباب . هي تقاوم يأس . يقوم بينهما شد وجذب .

يختل توازنه فيقعان على ديوان ويستمر الصراع

بينهما . وبلا استمرار لا تكاد تختلف حركاتهما عن

مبادلات العشق . ويتغير مذاق الصراع وحده .

ويخلق جو جديد لم يكن في الحسبان فتستغله

الأعصاب المتوترة اليائسة . وإذا به يضمها بين ذراعيه

وينهال عليها ثقيلًا .

ينخفض الضوء رويدا حتى يسود الظلام .

ثم يعود رويدا حتى يبلغ حاله الأولى .

الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر .

هي تنظر إلى السقف وهو يرنو إلى نيران المدفأة (

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن ؟
(صمت)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج ؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل .

الرجل : ماذا تعنين ؟

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام .

الرجل : وبلا حب ؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى " الأذرع .

(صمت)

الرجل : والعمل ؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى ؟

(صمت)

الرجل : ما جريمتك ؟

المرأة : وما جريمتك ؟

الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك .

المرأة : من واجبى ألا أتكلم .

الرجل : است على أى حال من الشرطة .

المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين .

الرجل : تزيف لقود ؟ .. مخدرات ؟ .. دعاره ؟ .. سياسة ؟

المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية .

(صمت)

الرجل : متزوجة ؟

المرأة : لا أجيب على هذا السؤال بعد ما كان .

الرجل : هل كانت أول مرة تخونينه ؟

المرأة : ألا ترى أنتى أفضل الموت على الخيانة ؟

الرجل : إذن سالت حبا وكرامة ؟

المرأة : حالة هستيريا ليس إلا .

الرجل : نادمة ؟

المرأة : لا وفدت للندم .

الرجل : هبيني دعوتك مرة أخرى ؟

المرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .

الرجل : هل تشرق كغريين ؟

المرأة : كما التقينا !

الرجل : لا شيء يجمعنا ؟

المرأة : الجريمة هي ما يجمعنا .

(صمت)

المرأة : هل أنت أعزب ؟

الرجل : نعم .

المرأة : لم لم تتزوج ؟

الرجل : لم أطعن في السن بعد .

المرأة : ومتى تطعن في السن ؟

الرجل : لعلى أتنظر أن تجرفنى امرأة إلى الزواج ، ولكن

ألا ترين أننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة ؟

المرأة : هو خير من الصمت .

الرجل : الأغلال تقترب من أعناقنا .

المرأة : لا تذكرنى بذنبى حيا لك .

الرجل : ثمة فرصة لتجربة الحظ .

المرأة : وهى ؟

الرجل : أن تخاطرى بالذهاب .

المرأة : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى لفعلت .

الرجل : تدوسينى فى طريقك بلا رحمة .

المرأة : كما داسنى آخرون .

الرجل : ما لى أنا وذلك كله !

(يملكه غضب مبالغت . ينهض قائما بعنف . يقبض

على ساعدها ليسدها ولكنها تخلص ساعدها

بهدوء)

المرأة : كلا .. لا يتكرر شىء واحد مرتين بطريقة واحدة .

الرجل : أنت .. أنت ..

(جرس التليفون يرن . ينتقل إليه حيث يوجد على

حامل قرب البار)

الرجل : آلو .

..... :

الرجل : تأخرت .. أين كنت ؟

..... :

الرجل : ماذا تقول ؟

..... :

الرجل : غير معقول ، ألم تعرف السبب ؟
..... :

الرجل : شيء عجيب حقاً .
..... :

الرجل : بخير كما تركتني .
..... :

الرجل : لست وحدي .. أقصد أنني منفرد بهمومي !
..... :

الرجل : أبدا أبدا .. وحدي كما تركتني .
..... :

الرجل : أنت مجنون .. أي أفكار جنونية تساورك ؟
..... :

الرجل : لا موجب لإساءة الظن ، إلى اللقاء ..

(يضع السماعة ثم يعود إلى مقعده . يتبادل مع
المرأة نظرات حائرة)

الرجل : إنه الصديق الذي كان هنا .

المرأة : وماذا قال لك ؟

الرجل : ماذا حصل للعالم ؟ .. الشوارع المحيطة بنا غاصة
بالجنود ! .. من أنت ؟

المرأة : لست إلا امرأة سيئة الحظ كما ترى ..

الرجل : بيدك حل هذا اللغز .

المرأة : يستوى لدينا أن يضرب الحصار حول العمارة أو حول الحى كله .

الرجل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة إلا شئ خطير .

المرأة : لست هذا الشئ .

الرجل : لعلك الخيط الذى يوصل إليه .

المرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .

الرجل : لن أسمح لك بالقضاء على .

المرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .

الرجل : لن أضيع بسبب غلطة .

المرأة : لماذا تعود إلى الغضب ولم يجد جديد على الموقف ؟

الرجل : الهلاك باب أقرب مما تتصور .

المرأة : نحن مقامرون ، والمقامر العاقل يجب أن يوطن نفسه على الهلاك .

الرجل : أنت امرأة مقامرة .

المرأة : وأنت أيضا ، لا سبيل إلى النكران .

الرجل : لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .

المرأة : جميع طرق الضياع سخيفة .

الرجل : أود أن أقتلك ولو اضطررت إلى قتل نفسى .

المرأة : هاك طريقة سخيفة أخرى .

الرجل : كل هذا وأنا لا أعرف من أنت ولا أدرك شيئا مما يقع حولى .

المرأة : لا أهمية للتفاصيل ، حسبك أن تعرف أننا

مطاردون ، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء
مصممون !

(صمت)

المرأة : (وهى تبسم متوددة) لا تضخم سوء الحظ بالغضب .
(صمت)

المرأة : عندى اقتراح .

(ينظر نحوها بامتناع ودون أن ينبس)

المرأة : نحن فى حاجة إلى ترفيه .

الرجل : ترفيه ؟ !

المرأة : لم لا ؟ .. إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام عن
رغبته الأخيرة .

الرجل : أنت مجنونة .

المرأة : لنشرب كأسين .

الرجل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا ؟

المرأة : أنا أعتبر نفسى منتهية ، وأعترف لك بكل أمانة أن
جانبا منى راض كل الرضا ، ويخيل إلى أنك
تماثلنى إلى حد كبير ، وأماننا وقت غير محدد ، فإما
أن نقضيه فى تبادل السباب وإما أن نرفه عن أنفسنا ،
ما رأيك ؟

الرجل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهى تتوقع الموت بين
لحظة وأخرى ؟

المرأة : هى حال الإنسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو أننا أعظم وعيا بالنهاية .

(صمت)

المرأة : فلنجرب ..

(المرأة تقوم إلى البار فتجىء بزجاجة وكأسين .
تملأ الكأسين . ترفع إحداهما إلى فم الرجل وتمسك
بالأخرى)

المرأة : صحة لقائنا دون تعارف سابق .

(تشرب وتدفع بالشراب إلى فيه فيقبله بفتور . ثم
تملأ الكأسين مرة ثانية)

المرأة : صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق !

(تشرب . تنظر إليه بتوسل حتى يشرب كأسه
أيضا . ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة)

المرأة : صحة أسباب الهلاك التى لا حصر لها .

(تشرب . يشرب . تملأ الكأسين للمرة الرابعة)

المرأة : صحة الأحلام التى تقود إلى الهلاك .

(تشرب . يشرب . تنبسط أساريهما بتأثير الخمر .
يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة)

المرأة : صحة الجنس الذى يمارس وسط العنف والشجار .

(تشرب . يشرب . يزداد أثر الخمر . يملأ الكأسين
للمرة السادسة)

الرجل : صحة الشرطة عدوة الأحلام .

(تشرب . يشرب . يتأكد أثر الخمر . يملأ الكأسين
للمرة السابعة)

المرأة : صحة أول من اخترع حروف الهجاء .

(تشرب . يشرب . يتضح أثر السكر في الحركة
والصوت . يملأ الكأسين للمرة الثامنة)

الرجل : صحة أول من اخترع آلة المزينة .

(تشرب . يشرب . يملأ الكأسين للمرة التاسعة)

المرأة : صحة أول من كتب رسالة غرامية .

(تشرب . يشرب . يملأ الكأسين للمرة العاشرة)

الرجل : صحة الحلقة المفقودة .

المرأة : صحة المخبر الواقف بالطريقة خارج الشقة .

الرجل : صحتك .

المرأة : صحتك .

(يغرقان في الضحك . يقفان وهما يترنحان)

الرجل : لنس العمر الذى عشناه فينتهى كل شيء .

المرأة : انتهى كل شيء .

الرجل : ولكنى لن أنسى أول أمنية داعبت فؤادى وأنا طفل .

المرأة : ما هى ؟

الرجل : أن أكون يباع كسكى !

(يغرقان في الضحك)

المرأة : لنستمتع بشيء من الفن ..

الرجل : فكرة .

(يذهب إلى التلفزيون . يديره . يظهر موقف من
فيلم رعاة بقر يشتد فيه تبادل إطلاق النار . المرأة
تصرخ متراجعة محتجة فيطفئ الرجل التلفزيون)
الرجل : هلمى نرقص .

(يرقصان بلا موسيقى . يتعمد ضمها إلى صدره .
يقبلها من آن لآن . يتوقف عن الرقص ويرفعها بين
يديه ليمضي بها ولكن توازنه يختل فيسقطان وهما
يضحكان . ينطحان جنبا لجنب وهما يضحكان .
وهو يقبلها كلما سكت عنه الضحك . لا مقاومة من
ناحيتها ولكنها تزحف قليلا وتمد يدها فتناول
سماعة التليفون . تطلب رقما ، وفي أثناء الحديث
يتابعها الرجل باتباه قليل لشدة سكره ولا يكف
عن تقبيلها)

المرأة : آلو .

..... :

المرأة : مساء الخير ، أنت قلق طبعاً ، آسفة ..

..... :

المرأة : شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

..... :

المرأة : لا وقت للإجابة ، ليس الظرف مناسباً ، ستعرف كل
شيء من الصحف ..

..... :

المرأة : لا تنتظرنى .. ولكن ثق من إخلاصى .. حتى آخر لحظة .. أستودعك الله ..

(نغلق السكة)

الرجل : تخويننى جهارا ؟

المرأة : الماضى يستحق أن نودعه .

الرجل : عفريته ..

المرأة : سأكون لك إلى الأبد !

الرجل : حتى الموت ؟

المرأة : حتى الموت .

الرجل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة ؟

المرأة : ولو امتد ساعة وربعا !

(جرس الباب يرن . ينظران نحو الباب بانزعاج رغم

سكرهما . ينهضان بصعوبة وتعثر . تمضى نحو

المقعد حيث تركت حقيبتها)

المرأة : سيجدوننى جثة هامة منتصرة .

الرجل : لن أفتح الباب .

المرأة : سيكسرونه .

الرجل : فلنتفق على الاعتراف بأننا زوجان .

المرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .

الرجل : نعترف بأننا تزوجنا عقب ذهابه !

المرأة : هذه فترة تكفى لموتنا أما الزواج فيستغرق عاما عنى

الأقل .

(الجرس يرن متقطعا ولكن في إصرار .
الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره .
الفتاة تتناول من الحقيبة أنبوبة . تستخرج منها
حبة . تزدردنها ببقية كأسها . تترنح ثم تسقط فوق
الديوان منكفة على وجهها ، جثة هامة . الرجل لم
ينتبه إلى ما حدث . يتردد بين الوقوف وبين الذهاب
إلى الباب . ينظر وراءه فيرى المرأة منكفة على
وجهها)

الرجل : غلبك السكر ؟ .. نمت ؟

(يتأملها دون مبالاة بجرس الباب)

الرجل : يا لك من شابة جميلة حقا ! ..

(الجرس يرن)

الرجل : أضعنا في الخصام وقتا لا يعوض ..

(الجرس يرن)

الرجل : استريحى .. تخاصمنا كغرباء على حين تجمعنا طبيعة
واحدة .

(يقترب منها ، يميل فوقها كأنما ليقبلها وإذا بصوت
صديقه ينادى من وراء الباب صائحا « افتح » يمضى
مسرعا نحو الباب فيفتحه ضاحكا . الصديق يدخل
ويغلق الباب وراءه)

الرجل : سيبت ركبنا عليك اللعنة .

الصديق : من المرأة التى عندك ؟

الرجل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار .. يا لك من أحقق ..
ما فكرت فى حياتك قط .

(الصديق ينظر إلى المرأة ويضحك عاليا)

الصديق : بعض الظن إثم .

الرجل : أنت أحقق .

الصديق : متى جاءت هذه الحبوبة ؟

الرجل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .

الصديق : ولم أخفيها عنى ؟

الرجل : إنها المرأة التى تبحث عنها الشرطة .

الصديق : كم كأسا شربت ؟

الرجل : لم أفكر فى حصرها .

الصديق : وهل الحبوبة نائمة ؟

الرجل : من السكر والتعب .. ولكن ما حال الحصار ؟

الصديق : القيامة قائمة ..

الرجل : وحببتى نائمة ..

الصديق : إنها جميلة .. من هى ؟

الرجل : المرأة التى قامت القيامة من أجلها .

الصديق : أنت سكران .

الرجل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصديق : لو صح هذا ...

الرجل : تعاهدنا على الحب إلى الأبد .

- الصديق : كنت تعرفها ؟
- الرجل : عرفتھا منذ ساعة هجرية !
- الصديق : وما جريمتھا ؟
- الرجل : جريمة قامت لها القيامة .
- الصديق : قتل .. مؤامرة .. ؟
- الرجل : سألتھا فاعترفت لى بحبھا ..
- الصديق : لعنة الله على البار الأمريكانى .. خبرنى من هى ؟
- الرجل : امرأة .
- الصديق : اسمھا ، أسرتها ، مهنتھا ؟ ..
- الرجل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها .
- الصديق : ألا تعرف عنها أى شىء ؟
- الرجل : عرفنا أهم شىء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين !
- الصديق : إنك مضجر ولا خير فيك .
- الرجل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار .
- الصديق : لا سبيل إلى التفاهم معك ، سأذهب ، أستودعك الله ..
- الرجل : مع ألف سلامة .
- (يتحرك الرجل للذهاب . جرس الباب یرن رنینا متواصلا)
- الرجل : أخيرا ..
- الصديق : (فى اضطراب) ماذا أنت فاعل ؟

الرجل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه ..

(أصوات من الخارج تصيح « افتح .. افتح » .
الرجل يذهب إلى الباب . يفتحه . تندفع إلى
الداخل قوة من الشرطة المسلحة على رأسها ضابط
غير الضابط الأول)

الضابط : أين الحجرة المظلة على الطريق العمومي ؟
(الرجل يشير إلى حجرة النوم . الضابط والقوة
يهرعون إلى الحجرة ويختفون داخلها)

الصديق : ما معنى هذا ؟

الرجل : على " اللعنة إن كنت أفهم حرفا مما يقع حولى .

الصديق : يستحسن أن توقظ المرأة ، أى نوم هذا ؟

الرجل : رد فعل طبيعى للإنهاك والاضطراب والسكر ، دعها
تنعم بآخر هدوء يتاح لها فى حياتها !

(فجأة تتراعى من الحجرة أصوات طلقات نارية
كثيرة . تستمر وتتزايد . الرجلان ينحطان على
ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى غاية من الذعر)

الصديق : إنها معركة ..

الرجل : معركة بكل معنى الكلمة ..

الصديق : هل العدو فى الطريق ؟

الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا !

الصديق : لعله فى العمارة القائمة علم . الجانب الآخر .

الرجل : لا أفهم شيئا ..
الصديق : يجب أن تغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص.
(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة .
الضابط يظهر في باب الحجرة . يرى المرأة لأول
مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة ؟
الرجل : كلا .. إنها .. إنها .. إنها مريضة ..
الضابط : الشقة معرضة للخطر .. غادراها بلا تردد .
(الضابط يرجع إلى الحجرة . الضرب في تصاعد
مستمر . رصاصة تصيب المصباح الكهربائي فيسود
الظلام . شبح الرجل يزحف نحو المرأة . يهزها
ليوقظها)

الرجل : استيقظي .. يجب أن تستيقظي ..
(يهزها بشيء من الشدة)
الرجل : سأحملك بين يدي وأمرى لله ..
(يحملها بين يديه ويمضي بها نحو الباب بتعثر
ومشقة وبطء)

الرجل : لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش .. لقد نجوت
يا حبيبتى ... ونجوت أنا أيضا ... نجونا معا ..
سيمسى اليأس في خبر كان .. نجوت ونجوت ..
وستكونين لى إلى الأبد .
(يغادر الحجرة بحمله . الضرب مستمر)

مستقر مع الملائكة



حجرة الإدارة مسرح . فى الجانب الأوسط من الحجرة
يوجد مكتب . أمام المكتب مقعدان كبيران متقابلان . إلى
اليسار مكتبة ، وباب مغلق يؤدي إلى الخارج . فى الجانب الأيمن
كنبة ومقعدان وخوان . على الكنبة يجلس الممثل والممثلة .
على المقعدين يجلس المخرج والناقد . الجميع فى أواسط العمر
مع تفاوت .

المخرج : يجب أن تفتتح الموسم بعمل باهر .
الممثلة : (متنهدة) الحق إن الفن جمال وعذاب .
الممثل : (ناظرا فى ساعة يده) متى يحضر الأستاذ ؟
الناقد : إنه فى الطريق إلينا .
المخرج : كثرت المسارح واشتدت المنافسة بينها لدرجة
الوحشية .

الممثل : وعلينا يقع عبء المحافظة على القمة .
الممثلة : هذا ما قصده بالعباب .
الناقد : ترى هل انتهى الأستاذ من كتابة المسرحية ؟
المخرج : لا أظن ، ولكنه سيحدثنا عن الفكرة العامة .
الممثلة : لن يبدأ الموسم قبل أشهر .
(يفتح الباب إلى اليسار ويدخل السكرتير)
السكرتير : الأستاذ .

(يدخل المؤلف . يخرج السكرتير ويغلق الباب .
المؤلف متقدم فى السن ولكنه من النوع الذى
يتعذر تحديد سنه . وهو أنيق المظهر وبأدى الصحة

والعافية رغم تقدمه في السن . ينهض المخرج
والناقد والممثل لمصافحته . يذهب لمصافحة المثلة
في مجلسها . يمضي إلى المكتب فيقف مستندا إلى
مقدمته . ينتقل المخرج والناقد إلى المقعدين
المتقابلين أمام المكتب . يعود الممثل إلى مجلسه
إلى جانب المثلة)

الناقد : (للمؤلف) صحتك عال .

المؤلف : شكرا .

المخرج : الجو فظيع ولكن ضاحيتك مرتفعة الموقع ومعتدلة
الجو .

المؤلف : التفكير من شأنه أن يرفع الحرارة .

الناقد : إلى أى حد يمكن أن تقول إن عملك اكتمل ؟

المؤلف : سينتهى على أى حال في موعده .

الناقد : إذا أردنا أن نحدد روايتك الجديدة فأى اسم يمكن
أن نطلقه عليها ؟

المؤلف : إنك ناقد لا يخلو من داء النقاد في غرامهم بالأسماء ،
أنا لا تهمنى الأسماء ، إنما أبدأ من انفعال معين
ثم أترك الاسترسال لوحى القلم .

الناقد : ولكن المسرحية بناء ، ولا يسع البناء أن يضرب في
الأساس ضربة واحدة ما لم تكن الصورة النهائية
متبلورة بشكل ما !

الممثل : (فى شيء من العصبية) سننضل فى نقاش غير محدود ،

- أريد أن أُلحِثَن إلى وجود بطولة حقيقية .
- الممثلة : وأضيف إلى قول زميلي إن خير دور تمثله المرأة هو الحب . (ثم موجهة الحديث إلى المخرج) تكلم فانت المخرج ..
- المخرج : لكل رواية أسلوب خاص لإخراجها .
- الممثلة : ولكن الحب ضرورة لا غنى عنها .
- المخرج : إنه ضرورة حقا ولكن لا يسكن فرضه على المؤلف .
- المؤلف : هذا كرم منك إذا تذكرنا محاولاتك السابقة للوثوب فوق رأسى .
- المخرج : (ضاحكا) أنت تؤلف وأنا أفسر ، فأنت حر فى تأليفك وأنا حر فى تفسيرى .
- المؤلف : ولكنى أعرف ما أريد قوله .
- المخرج : بل إنى أعتبر ذلك من اختصاصى .
- الناقد : الأمر يتوقف على نوع العمل ، ثمة عمل لا يختلف فى تفسيره أحد ، وآخر تتعدد فى تفسيره وجهات النظر .
- الممثل : ما يهمنى حقا هو دور البطولة ، أريد أن أكون بطلا لا مهرجا .
- المخرج : ولكن المهرج يمكن أن يكون بطلا أيضا .
- الممثل : إنى أرفض ذلك كل الرفض .
- المخرج : ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين .
- الممثل : مهرجون لا أبطال .

- المخرج : المسألة نسبية .
- الممثلة : سنضل في متاهة الآراء ، حددوا أفكاركم .
- الممثل : حسن ، أريد بطولة بالمعنى التقليدي .
- الممثلة : وأريد أن ألعب دور حب لا ينسى .
- الناقد : ويلزمنى الوضوح الذى يمكننى من نقد العمل وتقديمه .
- المخرج : أطالب بالحرية الكاملة للتفسير .
- المؤلف : ماذا يبقى لى أنا ؟
- الممثل : أن تحقق لنا مطالبنا الفنية العادلة فى صيغة ناجحة تستحوذ على إعجاب الجمهور .
- المؤلف : إنكم بحاجة إلى سكرتير لا إلى مؤلف .
- الممثلة : بل نريد تفاهما وتعاوننا .
- (المؤلف يغادر موقفه متمشيا حتى منتصف الحجرة وهو مقطب ثم يعود إلى موقفه مستندا إلى مقدم المكتب)
- المؤلف : إننى أحب الصراحة ، والحق أقول لكم إنه لا وجود لكم قبل أن توجد الفكرة التى تنجزونها .
- الممثل : (فى حدة) بل نحن موجودون قبل أى فكرة .
- المؤلف : إذا لم توجد القصة فأنتم مجرد أشخاص لا معنى فنى لهم .
- الناقد : ألا يؤثر فى خيالك وأنت تؤلف أشخاص الممثلين مثلا؟

المؤلف : كلا ، إننى أستغرق فى عملية الخلق فحسب ، ثم يختار العمل بعد ذلك ممثليه ومخرجه !

الناقد : هذا فرض مثالى ، ولكن الواقع إن المؤلف إنما يتعامل مع زمان ومكان وجمهور وممثلين وممثلات ومخرجين وتقاد أيضا !

المؤلف : (ضاحكا فى سخرية) يا لها من أفكار غريبة عن عملية الخلق !

الناقد : لا يمكن أن تترك لخيالك العنان ما دمت مرتبطا بمسرح ما وجمهور ما وإمكانات فنية محددة .

المؤلف : أو فى كلمة واحدة هى فبركة بلا زيادة !

الناقد : إنها محاولة صادقة للتوفيق بين خيالك الخلاق والضرورات بفبركة لا محيص عنها لتقول فى النهاية ما تريد قوله وما يتطلبه الزمان والمكان وما يود الناس أن تقوله !

المؤلف : (بلهجة مزدرية) أصدق وصف للفن التجارى .

الناقد : الفن معاملة ، والمعاملة نوع من التجارة ، والنجاح وجه من وجوه المعاملة .

المؤلف : هذا يعنى ألكم المؤلف لا أنا .

الناقد : التأليف نشاط جماعى وإن بدا فرديا .

الممثل : لذلك أطالب ببطولة تقليدية وهو طلب عادل .

الممثلة : وأطالب بالحب وهو مطلب طبيعى .

المخرج : وأطالب بالحرية ليتم لعملك الكمال المنشود .

المؤلف : (غاضبا) تمرد سخيـف مضحك ، ولولاي لما كنتم شيئا مذكورا .

الناقد : (بلطف) ولولانا ما كنت مؤلفا على الاطلاق .

المؤلف : أستطيع أن أكتب مسرحية لنفسى !

الناقد : محض كلام ، كيف يثبت أنها مسرحية إذا لم يقيض لها مخرج ومشلون وجنهور وناقد ؟ !

المؤلف : (غاضبا) إن مهنتى الخلق لا الجدل ، الجدل مهنة العاجزين عن الخلق .

المثلة : إنى أكره الجدل وأخاف عواقبه ، وسوف ينتهى بنا إلى خصام مرير بدلا من عرض مسرحى رائع .

الممثل : ولكن لا خير فى مصالحة تجيء على حسابنا .

المؤلف : من الضرورى أن أكتب مسرحيتى بلا قيد أو شرط .

الناقد : لا يجوز أن تهمل الاعتبارات التى عديتها .

المؤلف : إنى ملزم باحترام الخلق الفنى وحده .

الممثل : والبطولة ؟

المثلة : والحب ؟

المخرج : بعض الهدوء ، إنه لم يحدثنا بعد عن قصته !
(الصمت) .

المخرج : أستاذنا العزيز ، حدثنا عن قصتك .

المؤلف : إنها مجرد مشروع وخطوط عامة .

المخرج : ليكن .



- المؤلف : إنها قصة رجل وامرأة .
- الممثل : ثمة مجال لبطولة .
- الممثلة : ومجال أرجح للحب .
- المؤلف : يلتقيان في غابة .
- الناقد : غابة ؟
- المؤلف : يلتقيان في غابة .
- الناقد : ولم غابة ؟
- المؤلف : (محتدا) أنا حر .
- المخرج : أنا الحر .
- الناقد : أخشى أن ترجع بنا إلى عهد الرومانسية البائد ؟
- الممثلة : هو مكان طريف على أى حال ، والعري فيه لا يمكن أن يتهم بالافتعال .
- الناقد : اللقاء اليوم يتم في الشارع ، في البص ، في ملهى ليلي .
- المخرج : ربما أراد من الغابة أن تهيب له جوا موحشا حافلا بأخطار الإنسان والحيوان .
- الناقد : المدينة أحفل بكل ذلك من أى غابة .
- المؤلف : (ضاربا الأرض بقدمه) يلتقيان في غابة .
- الممثلة : بعض الحلم حتى يتم صورته .
- المؤلف : في الغابة أخطار لا حصر لها فهما يبحثان عن مأوى يحميهما .
- الممثل : ليس في ذلك شيء من البطولة .

- المثلة : ولكنه مجال طيب للحب .
- الممثل : لا حب بلا بطولة .
- المثلة : الحب فى ذاته بطولة ..
- الممثل : ليست هى ما أبحث عنه .
- المخرج : إنه يريد أن يقاتل ، يقاتل الوحوش ، يقاتل المجهول .
- الممثل : أحسنت .
- المخرج : ومن ثم يوجد الصراع وهو أساس الدراما .
- الممثل : أما مجرد البحث عن مأوى !
- المثلة : لعله يكتب قصة حب ؟
- الممثل : الحب لا يكفى وحده موضوعا لمسرحية .
- المخرج : وأى مجال يترك الحرية فى مسرحية بحث عن مأوى ؟
- المؤلف : أنا لا أعترف لك بحريتك المزعومة .
- المخرج : أنا أفسر فأنا حر .
- المؤلف : هل تستطيع بحريتك أن تغير النهاية ؟
- المخرج : صدقنى فإن حرية المخرج هى زينة العرض المسرحى .
- المؤلف : هل تستطيع أن تغير النهاية ؟
- المخرج : لم تحدثنا عن النهاية .
- المؤلف : يجدان مأوى على درجة من الأمان .
- المثلة : أراهن أن الحب سيبدأ دوره الخالد .
- المؤلف : يحصنانه ضد أهوال لا حصر لها ولا عد .
- المثلة : أكمل .. إنى منتظرة ..

المؤلف : يمضيان أوقات الراحة في عناق حار .
الممثلة : (تقف من الانفعال وتنتقل إلى جنب المؤلف) ألم
أقل لكم ؟ ..
المؤلف : وفي لحظة من لحظات العناق الحار يسقطان جثتين
هامدتين !

(صمت)

(يتبادلان النظرات . تمضى الممثلة إلى المكتبة على
اليسار وتستند إليها مغمضة العينين)
الناقد : جثتين هامدتين ؟ !
المؤلف : نعم .

الناقد : وهى النهاية ؟
المؤلف : ماذا تتوقع بعد ذلك ؟
الناقد :. ولكن ما أسباب الموت ؟
المؤلف : أى سبب تفترضه ، لنقل إنه العناق نفسه !
الممثلة : (متقدمة خطوات) الحق إنى لم أفهم شيئا .
المخرج : وماذا عن الأخطار المحدقة بهما ؟
المؤلف : لم أتم دراستى لها بعد ، ولكن يمكن القول بأنهما
قد ينجحان في تحصين مأواهما .
الناقد : ستكون نهاية متشائمة .

الممثل : وبلا بطولة تخفف من وقعها .
الممثلة : دور الحب غنى ، ولكن النهاية .. ؟
المخرج : من حسن الحظ أنه لم ينته من دراسته ، وأنه لا بد

أن تسبق النهاية سلسلة من صراعات شائقة ..

المؤلف : (متهمًا) ربما تكون حرا في كيفية الوصول إلى النهاية التي أختارها ولكن لا حرية لك في تغييرها .

المخرج : (في شبه ثورة) يمكن أن أسدل الستار عند لحظة من لحظات النصر .

المؤلف : في تلك الحال لن يزعم أحد بأن الرواية روايتي .

الممثل : (وهو يهيب واقفاً) أنا البطل ، أنا الجمهور ، وإني أرفض الأدوار الهابطة !

المؤلف : قدر لسانك قبل النطق موضعه من اللباقة .

الممثل : إني ممثل قديم ، لعبت أدوارا خالدة ، صارعت القدر ، صارعت الأبطال ، صارعت المجتمع ، اليوم يراد مني أن ألعب دور الهارب ، وأن أموت مستهلكا في عناق حار ، خبرني بالله أي نوع من الدراما تكون ، تراجيديا ؟ ملهامة ؟

الناقد : أجل .. النوع المسرحي غير واضح .

المؤلف : أنا أقدم مسرحيات لا أسماء .

الناقد : ولكنها تنكبت سبيل الجلال الحق .

المؤلف : الجلال الحق ، ما زلتم تحنون إلى القدر والأبطال الخرافيين وأسطورة المجتمع ، ولكن القدر لم يعد إلا موضوعة بالية ، والبطولة الخرافية مراهقة ، وهل يتمخض المجتمع إلا عن لعبة يعبث بها أطفال

شريرون لن تحسن تربيتهم ؟ ! ، إني أعرف على
تماما .

الممثل : إني أرفض مسرحيتك .

الممثلة : لكنها ما زالت قصة حب .

الممثل : إنك مخطئة يا عزيزتي ، تصوري أن نلتقي في غابة
وأن نلوذ بمأوى ! ، لا مجال للمناجاة أو الحب
الحقيقي ، ستكون أعصابنا متوترة طوال الوقت ،
الحب لا ينمو في هذا الجو ، مجرد عناق عصبى ،
يروح عن نفسه بالشهوة ، ثم تقع جثتين ، ستكونين
طيلة الوقت محدقة في فزع ، مرتعشة الأطراف ،
مضطربة الأمعاء ، دميمة الوجه ، مجرد لبؤة ثائرة
ثم جثة هامدة .

الممثلة : كلا .. كلا ..

الممثل : ولن يبقى لنا من الحوار إلا كلمات متشنجة ،
واستغاثات معربة ، وهذيان طويل عن الأخطار
المحدقة بنا ، ثم تقع جثتين هامدتين !

المؤلف : (محتدا) لست إلا ممثلا فلا تجاوز حدك .

الممثل : (في غضب وعجرفة) أنا المسرح .. أنا الجمهور ..

المؤلف : لست إلا ممثلا .

الممثل : (وغضبه في تضاعد) وما أنت ؟ ! .. كم من الجمهور

رأوك ؟ .. وكم ممن يرونك يعرفون من أنت !

المؤلف : يا لها من وقاحة !

(الممثل يرمى المؤلف بنظرة متوعدة . الممثلة تقترب منه بسرعة فتضع يدها على ذراعه ملاطفة)

- الممثلة : لا يليق بكما الخصام .
الناقد : ترى هل تحل بسرحنا اللعنة ؟ !
المؤلف : ليلتزم كل بحدوده .
المخرج : الحلم والهدوء ، لا تدفعونى إلى اليأس .
الممثلة : علينا بالتماسك وإلا فشلنا وأعرض عنا الجمهور .
الممثل : إن من يسلبنى مجدى إنما يسلبنى كرامتى وحياتى .
المؤلف : لكل زمان مجده الخاص به .
الممثل : العبت ببطولتى التى عشقها الجمهور محاولة لقتلى .
المؤلف : مجدك الحق أن تلعب دورك بمهارة أيا كان دورك .
الممثل : ولو كان الهرب والموت بين أحضان امرأة ؟
المؤلف : ولو كان .
الممثل : سينصرف عنكم الجمهور ولن ينفع الندم .
المؤلف : الجمهور يود أن يرى نفسه .
الممثل : لا كما هى ولكن كما يجب أن تكون .
المؤلف : على أساس من واقعها الحقيقى .
الممثل : أهذه هى الكلمة الأخيرة فى البطولة ؟
المؤلف : لا يمكن التنبؤ بالمرحلية التالية .
الممثل : إذا تجهمنى زمانى فعلى أن أعزل .
المؤلف : (متهمكا) ها أنت تفكر فى الهروب فى حياتك رغم ثورتك عليه فوق خشبة المسرح .

الممثل : إني أرفض مسرحيتك .
الناقد : (للمؤلف) فكرتها طيبة ولكن أعد النظر في النهاية .
المؤلف : (بكبرياء) كلام لا يليق أن يوجه إلى مؤلف .
الناقد : هل نسيت تاريخك القديم ؟ .. هل نسيت روائعك ؟
المؤلف : آخر مسرحية هي خير مسرحياتي دائما .
الممثل : حتى هذه المسرحية الشاذة ؟
المؤلف : ستكون خير ما ألفت حتى اليوم .
الممثل : (صائحا في غضب وموجهها كلامه للجميع) إنه
يضمحل وهو لا يدري .
المؤلف : (في غضب) لست أهلا لمناقشتي .

(الممثل يرميه بنظرة غاضبة متوعدة مرة أخرى
ولكن الممثلة تأخذه من ذراعه إلى مجلسها السابق
فوق الكنية)

(صمت)

المؤلف : (محادثا نفسه) تعب وعذاب وها هي النهاية ،
من يدري بمتاعب الخلق إلا من يعانيه ؟ ، ثم
لا يكفيه ذلك فتتمرد عليه مخلوقاته ، وأى تمرد ! ،
تعيب خلقه ، تعيبه بكل جهل وقحة ، وتذكره بعمله
القديم كأنه عاجز عن تكرار نفسه ، تنهمه بالكسل
وهي الخامنة العاجزة عن تفهم الجديد ، وتبين
مزاياه ، هل يكمل الخلق إذا جاء على هوى
المخلوق ؟ ، وقد تدرجت معهم من البسيط إلى

المعقد وها هم ينعنون البسيط بالجلال والمعقد
بالتفاهة ، عقول قاصرة فكيف يمكن أن يتموا
الرحلة الطويلة معي ؟ !

الممثل : (مخاطبا نفسه أيضا تجنبنا للخصام) الخلق شيء
عظيم أما الغرور فلا عظمة له ، لسنا مخلوقات
ولكننا شركاء ، هو يعرف ذلك وإن أنكره حين
الغضب ، المسرحية لا تحيا وحدها ، يلزمها مخرج
وممثلون وتقصاد وجمهور ، ما قيمة النص بغير
هؤلاء ؟ ، هل تبقى الرواية هي هي إذا تغير
الممثلون ؟ ، هل تبقى هي هي إذا تغير المخرج ؟
الحق أننا خالقون أيضا ، وهو مخلوق لنا بمعنى
من المعانى ، وجميعنا معذبون بالخلق ، والجزاء
ليس عادلا ، إننا نعيش فترة ثم نختفى كالفقاعات ،
أما كلماته فتبقى على مدى الأيام ..
(صمت)

الناقد : نريد أن نصفى الجو ، وبالا احترام المتبادل نصفيه
لا بالتفاخر .

الممثل : (آتيا بحركة تدل على الحسرة) إني أبكى الأيام
السعيدة الماضية ، أخاف ألا تعود مرة أخرى ، كنت
أخطر على خشبة المسرح رمزا للإنسان في ذروة نباه
ونضاله ، وعلى المسرح كانت تتواجه قوى الخير
والشر وبينهما تقوم الإرادة الحرة المتوثبة ، والخير

لم يكن ينهزم وإن حاقت به هزيمة والشر لا ينتصر
وإن أحرز نصرا ، ذلك أن خشبة المسرح لم تكن
تخلو من إله عادل .

الممثلة : (تتأثر فتقوم لتمشى وهى تتكلم) أجل ، المرأة كانت
وحيا ، الحب كان دينا ، النور يهزم جيوش الظلام
بنصله اللامع ، الأمومة مقدسة ، الوفاء مقدس .
الرديلة شيطان ، لا شئ لهو ولعب .

الممثل : أين الآلهة ؟ ، أين البطولة ؟ ، أين الحب ؟ ، أين
الأمل ؟ ، لم تبق إلا غابة مائية بالوحوش ، وآدميان ،
هاربان لائذان بكهف ، لم يبق إلا الخوف والتوجس
والهستريا والموت ، أى دور هذا ؟ !

(الممثل يقف منفعلا ثم يهتف بصوت مرتفع)

الممثل : إني أرفض مسرحيتك .

المؤلف : لا تتخط حدودك .

الممثل : لم أتخط حدودى .

المؤلف : لا تحلم كالمراهقين .

الممثل : لا تتخط حدود اللياقة .

(صمت)

المؤلف : هذا هو مشروع روايتى الجديدة ، وإني مقتنع به

الممثل : إني أرفضها .

الممثلة : (بصوت منخفض) على العين والراس ولكن ..

المخرج : عملى يبدأ بعد انتهاء عملك .

- الناقد . لا أدري هل يبكى المشاهد أو يضحك ؟
- المؤلف : لم يكن أحد يجادلني فيما مضى .
- الممثل : كان العمل رائعا .
- المؤلف : المؤلف الحق يطالب بالطاعة والإعجاب .
- الممثل : (متهكما) الطاعة والإعجاب ؟ !
- المؤلف : (منفعلا بالغضب) وإلا هدمت المسرح على من فيه .
- الممثل : إني أشهدكم على ما يقول .
- المؤلف : من حقى أن أقول ما أعتقد .
- الممثل : تحت شرط ألا تمس كرامة الآخرين .
- المؤلف : لقد خلقت منكم نجوما وكواكب ولن يعجزنى أن أخلق غيركم .
- الممثل : الحق إننا نحن الذين خلقناك .
- المؤلف : لو تخليت عنك لتسولت حتى الموت .
- الممثل : لولاي لما نجحت لك رواية واحدة ولبثت مؤلفا ناشئا !
- (الممثل يتقدم إلى الممثلة فيأخذ بيدها متجها في تحد إلى المؤلف)
- الممثل : هل نسيت فضل هذه الفنانة ؟ ، أوحسبت أن الجمهور يتدفق علينا من أجلك ؟ !
- المخرج : (للمؤلف متعضا) وأنا يا أستاذ ؟ ، هل نسيت عروضى الرائعة ؟
- الناقد : (للمؤلف أيضا) سامحك الله ، وقلمى الذى كرسته

لإشادة بعقريتك ؟ ، إن الناس لا تشنى عليك إلا
بكلماتي ..

الممثل : (غاضبا) نحن الذين خلقناك .

المؤلف : سأعهد بعملى إلى آخرين ، اغربوا عن وجهى .

الناقد : لكل مسرح رجاله ، ونحن رجال هذا المسرح .

المؤلف : إذن لن تقدم به مسرحيات بعد اليوم .

المخرج : سيغلفه الظلام ويدركه العدم .

المؤلف : لن أتصور جوعا ، إنى رجل لم تغره الحياة الدنيا

مثلكم ، ولكنكم ستسولون فى مجرى عام .

الممثل : ولكنك لن تخلق ، وهو ألعن من التسول .

المؤلف : حسن ، فليمض كل إلى سبيله .

(صمت)

الناقد : لقد حلت اللعنة بمسرحنا .

الممثلة : قلبى يتمزق .

المؤلف : أقيم المسئولون عن ذلك .

الممثل : أنت وحدك المسئول .

المخرج : مسرح عريق فى القدم والنجاح .

الممثلة : يئس من اللحاق به الأعداء .

المؤلف : وبطرت نعمته أصحابه .

الناقد : لا أصدق ، لن يهون أمره على أحد منا (ثم موجهما

الخطاب للمؤلف) وأنت على وجه الخصوص ،

ليست أول مرة يعصف بك الغضب ..

المؤلف : (مشيرا إلى الممثل) جاوز حدود اللياقة باستهانة
لا تغتفر .

الناقد : ما تزال قابلة للغفران .

المخرج : لن يدرك مسرحنا العدم ولو اضطررنا إلى إعادة
تقديم الروايات القديمة .

المؤلف : هذا هو الإفلاس ، ولن يخفى على أحد .
(صمت)

الناقد : لنكن إيجابيين في حوارنا ، أصفوا إلى ، يمكن
استخلاص عنصر صراع بطولى من مجرى الرواية .
الممثلة : (بلهفة) كيف ؟

الناقد : الرواية ما زالت مشروعا ، وقد قال الأستاذ إن الرجل
والمرأة سيلوذان بكهف ، أليس كذلك ؟
الممثلة : بلى .

الناقد : إنه كهف كبير ، لاذ به كثيرون ..

(ينظرون إلى المؤلف مستطلعين فلا يعترض)

الناقد : لدينا كهف وسط غابة مليئة بالوحوش والأخطار
المجهولة ، وهو في الوقت نفسه مكتظ بالناس ،
ثمة فرصة لقيام صراع ما بين بطلنا وبين أحد أو
أكثر من الآخرين ..

الممثل : صراع سخيف ! ، غير بطولى ، إذا كانت الأخطار
تحدق بالكهف من كل جانب ، فكيف يجوز أن
يقوم صراع بينهم ؟ !

الممثلة : وكيف يطيب الحب في مثل ذلك الجو ؟ !
الناقد : قد يكون صراعا غير منطقي ولكنه ممكن إذا قيس
بمقاييس الطبيعة البشرية ، وبخاصة إذا توفرت
أسبابه ..

الممثلة : أسبابه ؟
الناقد : المرأة ، عدم وفرة الماء والغذاء ..
الممثل : الصراع الحق هو ما قام بين البطسل والوحوش ،
أو بينه وبين المجهول .

(ينظرون جميعا إلى المؤلف مستطلعين)
المؤلف : (بفتور) ثمة مجال لصراع في الداخل وآخر في
الخارج .

الناقد : يسعدنى أن نعود إلى المناقشة ..
المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .
الناقد : المناقشة تفتح الأبواب .
المؤلف : ولكنها تفسح المجال للربغات الشخصية التى لا تمت
إلى الفن بصلة .

الممثل : رغباتى فنية وليست شخصية .
الممثلة : (فى رقة متناهية) النهاية مهمة جدا .
المؤلف : المؤلف يكتب مسرحيات متتابعة ، لكل مسرحية
شخصيتها المستقلة ، ولكنها فى مجموعها مسرحية
كبرى ذات نهايات متكاملة .
الممثل : ما يهمنا الآن هى مسرحية الافتتاح .

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .
الممثلة : ليكن صراع من أى نوع كان ولكن يجب أن ينتهى
بانتصار الحب .

المخرج : كيف يمكن استخلاص إيقاع غرامى من ضجيج
الغابة الموحشة ؟ !

الممثلة : (بحدة) إذن الأفضل ألا يكون للمرأة دور !
الممثل : ما أجمل أن ينتهى الصراع فى الداخل إلى القضاء
على أسبابه ، ومن ثم يتجهون جميعا نحو الخارج ..

الناقد : وماذا يقع فى الخارج ؟

الممثل : صراع جديد فنصر جديد .

الممثلة : وحب طيلة الوقت !

الناقد : حلم جميل ولكن الجمهور لم يعد يستسلم للأحلام
طويلا ..

المخرج : ثمة مشروع مضاد وهو أن يقضى الصراع على
اللائذين بالكهف ثم تفتحهم الوحوش فتلتهم الأحياء
والجثث .

الناقد : كئيب أكثر مما تحتمله الأعصاب ..

المخرج : لم يبق إلا أن يستمر الصراع بالداخل والتهديد
فى الخارج !

الناقد : نهاية مفتوحة تدعو للبلبله ..

الممثلة : (محتجة) تتكلمون عن الصراع ولا تذكرون الحب
بكلمة .

المخرج : أيا كان الحال فسوف تتخلله لحظات حب وغناء ورقص ..

الناقد : ولكن هل يتفق ذلك مع مرارة الصراع ؟
المخرج : هكذا تمضي الحياة ، وبذلك نرضى جميع الأذواق .
(ينظرون إلى المؤلف مستطلعين)

المؤلف : لم أفرغ من عملي بعد .
الناقد : ما رأيك في الاقتراحات التي عرضت ؟
المؤلف : لا رأى لى الآن .

الناقد : ولكننا استعرضنا كافة الاقتراحات المحتملة .
المؤلف : لا حصر للاحتتمالات الممكنة .
الممثل : عدنا على الأقل بصراع بطولى من أى نوع كان ؟
الممثلة : ويجب يستحق هذا الاسم ؟
المؤلف : لا أعد بشيء .

الممثل : ولكنك حر وبوسعك أن تعد وأن تفى بما تعد .
المؤلف : لا تتحدث عنى بخير أو شر .
الناقد : حذار أن يعاودنا الخصام .
المخرج : نحن فى حاجة إلى استراحة قصيرة ، بنا إلى البوفيه
لنتناول بعض المرطبات .

(يذهب الناقد والمخرج والممثل . الممثلة تقف ولكنها
لا تبرح مكانها . المؤلف يغادر موقفه عند المكتب
ليتمشى ذهابا وجيئة . ثم يعود إلى موقفه مستندا
إلى مكتبه ، والممثلة تتابعه بعينها طوال الوقت)

المؤلف : (كأنما يسأل نفسه) هل حقاً حلت اللعنة بمسرحنا ؟
الممثلة : لن تحل به إلا إذا قررت أنت ذلك .

المؤلف : ولكنه بمعنى ما مسرحي ، إنه جزء من نفسي
لا يتجزأ .

الممثلة : ونحن عناصره التي لا يقوم إلا بها .

المؤلف : عمل واحد وهدف واحد .

الممثلة : بالحق نطقنا .

المؤلف : فيم الخلاف إذن ؟

الممثلة : لا خلاف حقيقي ولكنه الخوف ، لقد أفسدت
المنافسة المريرة أعصابنا .

المؤلف : وبالتالي ضقت بهم ذرعاً .

الممثلة : ليتسع لهم صدرك .

(صمت)

الممثلة : هل يضايقك وجودي ؟

المؤلف : بل يسعدني .

الممثلة : (في شيء من التردد) أود أن أدخل إليك بعض
الوقت .

المؤلف : بكل سرور ، فرصة طيبة حقاً ..

الممثلة : لا قيمة لأكلشيهات المجاملة لمن يتطلع للعاطفة
الحقيقية !

(ينظر إليها في تساؤل ودهشة)

الممثلة : لم الآن ؟ ، لم أختار هذه اللحظة لأفضي إليك بأسرار

قديمة ؟ ، ربما لأننى شعرت لأول مرة بأنك تهددنا
حقا بالفراق الأبدى ..

المؤلف : أعترف بأننى ضقت بالعناد والمكابرة .
الممثلة : عدنى بالألا تقرر الفراق مهما يكن من عنادهم
ومكابرتهم .

المؤلف : كيف يمكن أن اسد بذلك ؟

الممثلة : عدنى بلا قيد أو شرط ؟

المؤلف : بلا قيد أو شرط ؟

الممثلة : بلا قيد أو شرط .

المؤلف : إني أشكر لك عواطفك ولكنه طلب غير عادل .

الممثلة : لأنه مسرحك ، لأنه مسرحنا ، لأننا أسرتك ،

ولأننى ..

المؤلف : ولأنك ؟

الممثلة : ولأننى .. ولأننى .. ولأننى لولاك ما عرفت طريقى

إلى المسرح .

المؤلف : حقاً ؟ !

الممثلة : نعم .

المؤلف : لم تحدثينى عن ذلك من قبل .

الممثلة : لم أحدثك عن نفسى قط .

(صمت . يتبادلان نظرات صامته)

الممثلة : ألا تذكر أيام زمان ؟

المؤلف : بلى ، حينما كنت طفلة ..

المثلة : حينما كنت فتاة صغيرة لا طفلة ..

المؤلف : كنت الملحك في الطريق أحيانا .

المثلة : أكنت ترانى حقا ؟

المؤلف : من حى واحد كنا ، إنى أذكر تلك الأيام .

المثلة : اعتقدت أنك لم ترنى قط .

المؤلف : فى الشرفة رأيتك وأمام باب البيت .

المثلة : وقلت لنفسى إما أنه إله أو أنه صخر .

المؤلف : صخر ؟ !

المثلة : ذلك أنك لم تعرف سهد الليالى ولا الوسبائد

المبللة بالدموع .

(يتبادلان نظرة طويلة ، هى تلقيها إليه بثبات ، وهو

بدهشة)

المثلة : وصمت على أن أكبر نفسى لعلى ألفت نظرك ،

اتعلت حذاء بكعب عال ، غيرت التسمية ، ضيقت

أعلى الفستان لأبرز صدرى ، ولكنك لم ترنى ..

المؤلف : (باسم) آسف جدا ، كنت صغيرة وكنت كبيرا .

المثلة : المسألة أنك لم تحبنى ..

(صمت)

المثلة : ولحبك أحببت المسرح ، أحببت مسرحك ، غيرت

مجرى حياتى رغم معارضة أهلى الشديدة ..

المؤلف : إنى أغبط نفسى على الخدمة التى قدمتها للمسرح

دون تخطيط .

المثلة : ومضى حبي ينمو بلا حدود ، ولما تخرجت في المعهد
اتصلت بك تليفونيا ، طالبة ناشئة تعرض نفسها على
المؤلف الكبير ..

المؤلف : متى كان ذلك ؟ ، إني لا أذكره ..

المثلة : طبعاً فهو حديث يتكرر يوميا عشرات المرات .

المؤلف : أكرر الأسف .

المثلة : وسد سكرتيرك الطريق في وجهي ، ومن ناحية أخرى
لم تكن تبرح ضاحيتك أغلب الوقت ، ولا تزور
المسرح إلا في أوقات نادرة وفي ظروف مجهولة لي ،
وهكذا وجدت بابك مغلقاً بعد طريق طويل شققته
بالجهاد والعناء والصبر .

المؤلف : حكاية مؤسفة حقاً .

المثلة : ما مضى قد مضى .

المؤلف : ولكنك عرفت بالإصرار طريقك إلى مسرحنا .

المثلة : سلمت بتوجيه السكرتير فذهبت إلى المخرج .

المؤلف : وسيلة ناجعة فيما يبدو .

المثلة : قابلته واقترحت عليه أن يختبرني في مكتبه ولكنه ..

المؤلف : ولكنه ؟

المثلة : اعتذر بضيق الوقت وكثرة الأعمال ثم دعاني إلى
مسكنه الخلوى !

(المؤلف يتسهم . المثلة تقطب)

المثلة : غادرته متحدية ، وغالبت ترددي حيالك حتى

غلبته ، فكتبت لك رسالة مطولة اعترفت لك فيها
بحبى الذى أسرنى منذ صباى .
(صمت)

الممثلة : لا تتذكر شيئا ؟

المؤلف : الحق ..

الممثلة : (مفاطعة) الحق إنك تتلقى مئات الرسائل مثلها !
المؤلف : لم تكن لى ثقة كبيرة فى الرسائل .
الممثلة : ذهبت إلى المسكن الخلوى .

(صمت)

الممثلة : كثيرا ما يدفع الحب الخائب إلى المساكن الخلوية .
المؤلف : الحياة سلسلة من التجارب المتناقضة .
الممثلة : هكذا انضمت إلى مسرحك .

المؤلف : مها يكن من أمر فقد كسب بك نجمة لامعة .
الممثلة : وعندما قُدمت لك لأول مرة وضح لى أنك
لا تتذكرنى .

المؤلف : ولكن سرعان ما تذكرتك .

الممثلة : وثبت لدى أن حبك سراب مستحيل فلذت بصمت
الكبرياء .

(صمت)

الممثلة : ودفعنى حبك المستحيل من بيت خلوى إلى بيت
خلوى .

المؤلف : الحق إنك اشتهرت فى الوسط بكثرة العشق !

- الممثلة : على حين أننى لم أعرف من الحب إلا حبك !
- المؤلف : فنانة كبيرة وقلب كبير .
- الممثلة : تصورنى الرسوم الكاريكاتورية امرأة شهوانية بينا
أننى أعاف فى أعماقى الشهوة والفساد .
- المؤلف : إنى أصدقك .
- الممثلة : ولكننى أعبر من خلال علاقاتى العابرة بالآخرين عن
تشوفى الخالد إنيك .
- المؤلف : إنى أحترم عاطفتك وأفهم سلوكك .
- الممثلة : ولكنك لا تحبنى ؟
- المؤلف : أحبك بقدر ما يستطيع شخص فى سننى أن يحب
امرأة فى سنك .
- الممثلة : إنك من الذين يتعذر تقدير أعمارهم حتى قيل عنك
إنك فى سياحاتك الموسمية حول العالم تجدد شبابك
وتنفق فى ذلك عن سعة ؟
- (المؤلف يغرق فى الضحك وهى لا تحول عنه
بعينها)
- المؤلف : هل تؤمنين بالأساطير ؟
- الممثلة : نعم .
- المؤلف : أعترف أن حبك سيجدد شبابى .
- الممثلة : إنك تتكلم من بعيد ، لا ألومك فلا حق لى عليك ،
ولكن لم لم تتزوج ؟
- المؤلف : لم يكن الزواج من أهدافى أبدا .

الممثلة : عدو للمرأة ؟ !

المؤلف : لعلى لم أتزوج لشدة حبى للمرأة .

الممثلة : لا خبرة لى بالمغالطات اللفظية .

المؤلف : أعترف بأننى شىء غير مهضوم من وجهة نظر الطبيعة البشرية .

الممثلة : على أى حال ما مضى قد مضى ، وما يهمنى الآن هو ألا تفكر فى هجر مسرحنا .

(صمت)

الممثلة : طالما أنت على رأسه فإننى أشعر بأننى أعمل فى بيتى وبأن حياتى رغم تمزقها وضياعها لم تفقد كل معنى لها ، وبأننى إذا كنت أخفقت فى أن أكون خليلتك أو زوجك فإننى على الأقل نجمة مسرحياتك .

المؤلف : النجمة التى ساقى إلى الملايين .

الممثلة : ولا تنس أن الحب هو الدور الذى خلدنى .

المؤلف : وشارك فى تخليد أعمالى .

الممثلة : وإننى أشعر وأنا أقوم به بأننى أمارس حبك الكبير الذى استحال على خارج المسرح .

المؤلف : إنى مدين لك بالكثير .

الممثلة : عدنى إذن ألا تهجرنا مهما يكن من أمر .

(صمت)

الممثلة : ألا تريد أن تعدنى ؟

المؤلف : بدا التفاهم اليوم مستحيلا .

المثلة : إنهم يحبونك أيضا ، صدقنى إنهم يحبونك أيضا ،
المسألة أنهم خائفون ، المنافسة مرة ومزلزة
للأعصاب ، وهم من طول ما مارسوا البغضاء فى
نزاعهم مع المسارح المحيطة بنا انطبعت البغضاء فى
أساريرهم وسلوكهم ونوازعهم ، كأنما قد فقدوا
القدرة على الحب : ألفوا التحدى والوقاحة
والتهور ، تصوروا فى غضبهم أنه يمكن أن يوجد
هذا المسرح بدونك ، محض خيال مريض ، تخيلوه
بأخيلة هزيلة مريضة ، ولو ضننت عليهم بوجودك
لتقوضت الجدران فوق رؤوسهم ، وتلاشت فرص
الندم .

المؤلف : لا أوافق على أن أكرر نفسى بحال .

المثلة : سيدى .. هل حقا لم يبق للفن إلا غابة وكهف
ورجل وامرأة يموتان فى حومة هذيان ؟

المؤلف : إننى أعرف ما أصنع .

المثلة : ولكننا لم نعرفه بعد .

المؤلف : علينا أن نواجه الحقائق ، هذه مواجهة وليست
هروبا .

المثلة : هبنى قدرا من الحب ليستقيم دورى ، ووفر لى
نصيبا من البطولة !

المؤلف : ممثل متعجرف ! .. أهو آخر عشاقك ؟

المثلة : نعم .

- المؤلف : أيعاملك ببطولة ؟
- الممثلة : (ضاحكة في امتعاض) معاملته لى تتم وراء جدران
لا أمام الجمهور .
- المؤلف : إنه برمجي نساء كما هو معروف .
- الممثلة : ربما .
- المؤلف : لماذا ارتضيته عاشقا ؟
- الممثلة : ليس أسوأ من غيره .
- المؤلف : إنه لا يمارس البطولة إلا فوق خشبة المسرح .
- الممثلة : والحب الحقيقي أين يمارس إلا فوق خشبة مسرحك ؟
- المؤلف : إنهم يكرهون مشروعى الجديد لأنه يعكس بصدق
خبايا نفوسهم .
- الممثلة : كنت رفيقا بهم فى الزمان الأول .
- المؤلف : كانت دنيا أخرى ، وكانوا ناشئين مبتدئين .
- الممثلة : أولهم بعض الاحترام الذى نعموا به قديما .
- المؤلف : أعترف لك بأننى أعاملهم دائما باحترام .
- الممثلة : حقا ؟
- المؤلف : وروايتى الجديدة أكبر دليل على ذلك !
- الممثلة : لا أفهمك يا حبيبى .
- المؤلف : عليك أن تفهمينى يا حبيبتى .
- الممثلة : ما أحلى هذا الحديث ، نتحدث كما لو كنا حبيبين
حقا .
- المؤلف : نحن كذلك .

المثلة : حقا ؟

المؤلف : كل بطريقته .

المثلة : ليس للحب إلا طريقة واحدة .

المؤلف : بل له طرق كثيرة .

المثلة : وما طريقتك في الحب ؟

المؤلف : العمل .

(تقترب منه خطوة ، تمنع فيه النظر)

المثلة : ألم تحب بطريقتي البسيطة ؟

المؤلف : ربما ، ولكن بعيدا عن الوسط الفنى .

المثلة : (متنهدة) تصور أننى لم أدخل الوسط الفنى إلا سعيا وراء حبك .

(صمت)

المثلة : والآن هل تعدنى ؟

المؤلف : أرجو أن تسير الأمور سيرا حسنا .

المثلة : شكرا .

المؤلف : عفوا .

المثلة : (بعد تردد) أود أن أقبلك ولو قبلة واحدة .

(المثلة تقترب منه . يتعاقبان متبادلين قبلة طويلة .

فى ذات اللحظة يدخل الممثل وفى أعقابها المخرج

والنقاد . المؤلف والمثلة يفترقان فى كثير من

الارتباك . الممثل يذهل لحظة . ثم يحاول الهجوم

على المؤلف ولكن المخرج والناقد يحولان دون ذلك)

الممثل : (صائحا) داعرة محترفة وعجوز منحسل .. سأحطم رأسك ..

الممثلة : اخرس .. لا تتكلم بغير فهم .

الناقد : ما رأيناه لا يجوز أن نسيء فهمه ، ما هو إلا عناق أبوى !

الممثل : أبوى !! .. أنت لا تعرف شيئا عن تدهور الشيوخ !
المؤلف : تأدب ..

الممثل : سأحطم رأسك ، لن تفلت من قبضتي ..

الممثلة : اخرس ، قلت لك ألا تتكلم بغير فهم .

الممثل : إني خير من يفهمك يا خنزيرة !

الممثلة : ما أنت إلا حيوان غبي .

الممثل : لا زلت بغيا تنتقلين من فراش إلى فراش .

الممثلة : تأدب وإلا أسكتك بالحذاء .

الممثل : ولكنك تنتقلين هذه المرة إلى نعش ..

الممثلة : (للآخرين) أسكتوا هذا الحيوان الأعمى .

الناقد : (ضاربا جبينه بيده) لقد حلت بمسرحنا اللعنة .

الممثلة : (بصوت مرتفع) لن تحل بمسرحنا اللعنة .

المخرج : سوء فهم واضح ، واضح البراءة .

الناقد : (مخاطبا المؤلف) بوسعك أن تحسم سوء الظن بكلمة .

(المؤلف يلزم الصمت في كبرياء)

المخرج : (للممثلة) لديك بلا شك ما تدافعين به عن نفسك .

الممثلة : إني أرفض أن أقف موقف الاتهام .

الممثل : لقد رأيناها متلبسين !

المخرج : يجب أن تخجل من نفسك .

الناقد : حتى إن سوء الظن أمر مخجل .

المخرج : (للمؤلف) تكلم يا أستاذ (ثم للممثلة) تكلمي

أنت ، علينا أن ننتهي من سوء التفاهم ونصفيه بسرعة

لنستأنف مناقشة المشروع الجديد .

الممثل : (للمخرج) يا للغرابة ، إنك تتكلم عن أعمق

العلاقات البشرية كما لو كانت عبث أطفال ..

المخرج : (للممثل) لقد وجدتني ذات يوم في مثل موقفك ،

و كنت حيال خيانة حقيقية لا مجرد سوء تفاهم برىء ،

و كان غريمي وقتذاك صديقنا الناقد ، كيف تصرفت ؟

كظمت غضبي وواصلت تدريباتي للمسرحية

الجديدة .

الممثل : أنت جبان .

المخرج : أنت حيوان .

(الممثل يوجه لكمة لرأس المخرج . المخرج يترنح

واضعا يده على موضع الضربة . . يمضي إلى الكنية

ويرتمي عليها . يسند رأسه إلى مسندها ويمد ساقيه

في إعياء .

الممثلة تثور وتلطم الممثل على خده فيعميه الغضب
ويوجه لكمة إلى رأسها فتقع إلى جانب المخرج .
الناقد يسرع إلى إجلاسها ، ويهجم على الممثل .
يتبادلان الضرب حتى يسقطا متتابعين . يقومان
مترنحين ويلوذ كل منهما بمقعد حول الكنية .
الأربعة جالسون متقاربين وفي حالة إعياء شديدة
تقارب الإغماء . وطيلة الوقت لزم المؤلف موقفه
وهو يراقب ما يحدث برود)

(صمت)

(يفتح الباب ويدخل السكرتير . يتجه نحو المؤلف
دون أن يتنبه إلى الآخرين)

السكرتير : مندوب مجلة إيزيس .

(يدخل مندوب المجلة . السكرتير يغادر الحجرة .
المندوب يمضي إلى المؤلف فيصافحه . يتحول إلى
الجالسين ولكنه يتوقف في ذهول . يردد بصره بينهم
وبين المؤلف . يتراجع إلى قريب من المؤلف)

المندوب : آسف على مجيئي دون موعد سابق .

المؤلف : إنها مفاجأة ولكنها سارة .

المندوب : (مشيرا إلى الجالسين) ماذا حصل لهم ؟

المؤلف : فرغوا لتوهم من تدريبات الرواية الجديدة .

المندوب : حقا ! .. مجرد تدريبات ؟ !

المؤلف : مجرد تدريبات .

المندوب : إنها رواية عنيفة فيما أرى ؟
 المؤلف : لا تخلو من عنف .
 المندوب : إني أرى آثار كدمات ، وألمس إعياء واضحا على
 وجوههم ، كأنما هي رواية من روايات رعاة البقر !
 المؤلف : لا تخلو من حيوانات .
 المندوب : حتى فنانتنا الكبيرة تطرح رأسها في شبه إغماء ،
 إنه لأمر غير معقول .
 المؤلف : لا تخلو من جنون .
 المندوب : إن عرض مسرحية بذاك العنف شهورا متواصلة
 يجب أن يعد معجزة !
 المؤلف : وهي لا تخلو من معجزات .
 المندوب : (مشيرا إلى الممثلة) هل أصيبت وهي تدافع عن
 شرفها ؟
 المؤلف : أصيبت وهي تدافع عن شرف البطل .
 المندوب : ولكن المعتاد أن البطل يزود عن شرف الآخرين
 بالإضافة إلى شرفه هو ؟
 المؤلف : هي لا تخلو من طرافة وجدة !
 المندوب : لعل المسرحية تميل إلى التشاؤم ؟
 المؤلف : لا تخلو من تشاؤم .
 المندوب : ولكن موقف البطلة يدعو للتفاؤل فيما أعتقد ؟
 المؤلف : لا يخلو من تفاؤل .
 المندوب : كيف تجمع مسرحية بين التشاؤم والتفاؤل وهما
 تقيضان ؟

المؤلف : لا تخلو من تناقض .
المندوب : معذرة يا عميد المؤلفين ألا يعتبر ذلك ضعفا ؟
المؤلف : لا تخلو من ضعف .
المندوب : ولم لم تبلغ بها الكمال المعهود منك ؟
المؤلف : الكمال للموت وحده .

(المندوب يضحك عاليا . ثم يعقب ذلك صمت)
المندوب : جميع المسارح تتساءل عن عرضكم القادم ، وقد
بلغت المناقشة بينها ذروة المرارة ، المؤامرات تدبر
في الظلام ، المرتزقة يستأجرون لإحداث الشغب ،
ألا يمكن أن يسود السلام بين المسارح ؟
(صمت)

المندوب : كثيرون من العقلاء يعتقدون عليك الآمال بوصفك
عميد المؤلفين لتقوم بخطوة حاسمة في هذا السبيل ؟
المؤلف : لا وقت عندي إلا للعمل .

المندوب : هلا كرست لذلك يوم راحتك الأسبوعي ؟
المؤلف : يوم الراحة للراحة .

المندوب : إنهم يحلمون بأن تجمع المسارح في وحدة متعاونة
يسودها السلام الذي يسود مسرحك !!
المؤلف : لن أجد في سنى هذه من يمكنه التفاهم معي .

(المندوب يتسهم وهو يشد على ذراع المؤلف إعجابا
وتقديرًا)

المندوب : أعلم أنك لا تحب الحديث عن رواية جديدة قبل عرضها ولكن لدى بعض أسئلة تقليدية يتابعها الجمهور عادة بشغف .

(المؤلف يهز رأسه بالموافقة صامتا)

المندوب : كم من الوقت استغرقت في كتابتها ؟

المؤلف : (حاسرا كم الحفاكة عن معصمه اليسرى) أنا لا أستعمل الساعات .

المندوب : مم استلهمت فكرتها العامة ؟

المؤلف : شرعت في كتابتها عقب تفكير طويل في المعص .

المندوب : (ضاحكا) هل يمكن إرجاعها إلى تجربة شخصية مرت بك في حياتك العامة ؟

المؤلف : ربما أمكن إرجاعها إلى علاقة قديمة قامت بيني وبين مطرب آخرس .

المندوب : مطرب آخرس ؟

المؤلف : نعم .

المندوب : وكيف أمكنك معرفة تطريبه ؟

المؤلف : هذا ما ستجيب عنه المسرحية .

(المندوب يضحك عاليا . يصافح المؤلف . يذهب .

المؤلف يلقي نظرة على الجالسين . يسوى ربطه عنقه ومنديل جيب الصدر تأهبا للذهاب .

الممثلة تنظر نحوه . تقاوم ضعفها فتعتدل في جلستها)

الممثلة : انتظر .

(تدلك رأسها . تقوم بصعوبة . تمضى إلى أقرب

المقعدين المتقابلين أمام المكتب لتعتمد عليه)

الممثلة : متى نجتمع لتقرأ علينا النص الجديد ؟

(صمت)

الممثلة : لا تهجرنا .

(صمت)

الممثلة : لقد وعدت ألا تهجرنا .

(صمت)

الممثلة : (مشيرة إلى الجالسين) ما وقع بيننا ليس الأول

من نوعه ولن يكون الأخير .

(صمت)

الممثلة : سوف تعود المياه إلى مجاريها .

(صمت)

الممثلة : (مشيرة إلى الممثل) سيكون أول من يعتذر ، إنى

خير من يعرفه .

(صمت)

(يتبادلان نظرة طويلة . هى متطلعة فى لهفة وهو

لا ينم وجهه عن شىء . تنبسط أساريره فى بطاء ثم

يتسهم . يمد يده إليها فيتصافحان ثم يمضى على مهل

إلى الخارج ويرد الباب وراءه . الممثلة تتابعه بعينها

ثم تظل رائية إلى الباب)

المعنى



بقعة صحراوية خالية . تقوم في وسطها هضبة صخرية . أمام
الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر في ساعته من آن
لآن . الوقت أصيل . الشاب أنيق بدرجة ملحوظة ، والجو
يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا .

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة . الشاب يرهف السمع
في قلق ، وباقترب الأقدام يتجههم وجهه ويتوقف عن المشى
فيلزم مكانا أمام الهضبة .

يدخل رجل في الخمسين ، مهمل الهندام ، ولكنه قوى البنية
يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة فيقف
متطلعا إلى الخلاء .

الشاب ينظر صوب الرجل مقظبا ولكن الآخر يبدو وكأنه
لا يشعر له بوجود . يقترب منه خطوة .

الشاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد
وغضب) ماذا تريد ؟

(يظل الرجل رائيا إلى الخلاء كأنما لم يسمع
صوتا)

الشاب : (بصوت أشد ارتفاعا) إلى أسألك عما تريد .
(الرجل يبدو مستغرقا في الأفق ، ويترنم مغنيا)
والله زمان زمان والله ..

الشاب : (بحدة حائقة) لماذا تتبعنى ؟
(الرجل يواصل ترنمه فى هيمان)
الشاب : إبنى أخاطبك وأنت تعلم ذلك ، لا أحد سوانا فى هذا الخلاء .
الرجل : (ملتفتا إليه فى دهشة) حضرتك تخاطبنى ؟
الشاب : دون سواك :
الرجل : معذرة ، ماذا قلت ؟
الشاب : إبنى أسألك عما تريد منى .
الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا ؟ !
الشاب : أنت ، أنت دون سواك .
الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى ، أنا لا أريد منك أى شىء .
الشاب : لم إذن تتبعنى بإصرار ؟
الرجل : أتبعك ، إبنى أراك لأول مرة فى حياتى !
الشاب : (بعناد) إنك تتبعنى منذ الصباح الباكر ، ولم تكف عن تبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل .
الرجل : أنت مخطيء فى ظنك فأنا لم أرك وبالتالي لم أتبعك .
الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيته قادم فى أثرى .
الرجل : لا يحق لى أن أكذبك ولكنى لم أرك ولم أتبعك .
الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أهى مجرد مصادفة ؟
الرجل : سمها كيفما شئت .
(صمت . يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه)

الشاب : هل تفضل بإخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب إليها بعد هذه الوقفة ؟

الرجل : (ملتفتا نحوه فى دهشة) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب !

الشاب : معذرة ، أود التخلص من فكرة تباعك لى .

الرجل : أنا لا أعرفك ، لم أتبعك ، وفى هذا الكفاية .

الشاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم .. فلافل .. بشارع محمد على ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشمس ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تشهد مزادا بصالا المعروضات بالدقى ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم ..

الرجل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى ؟
الشاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا ؟ !
الرجل : أليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه
الدقة ؟ !

الشاب : ولكنك كنت ، لا مؤاخذا ، كأنك كنت تتبعنى !
الرجل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور .
الشاب : فى كل مكان رأيتك قادما فى أثرى ، حتى فى هذه
المنطقة النائية الخالية !

الرجل : عجيب أننى لم أرك ولا مرة واحدة .
الشاب : الحق إن عينينا التقتا أكثر من مرة .
الرجل : لا يرى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء .
الشاب : إذن فأنت لا تتبعنى ؟
الرجل : ولم أتبعك ؟
الشاب : لعلك تعذرنى .
الرجل : لك العذر .
الشاب : مصادفات عجيبة .
الرجل : هى بالقياس إلى لا شىء .

(الشاب يضحك ضحكة عصبية ثم يسود الصمت .
وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)
الرجل : آسف جدا لأنى أزعجتك بغير قصد .
الشاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .
الرجل : ليس فى جميع الأحوال .

- الشاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .
- الرجل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة ؟
- الشاب : لا يكفى هذا لإسكات وساوسك ما دمت تجهله وتجهل مقصده .
- الرجل : (باسم) أيهما أبعث على الخوف .. المجهول أم المعروف ؟
- الشاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .
- الرجل : الحق إننا نخاف أكثر مما ينبغى .
- (الشاب يصمت متجهما)
- الرجل : أكرر الأسف .
- الشاب : (بعصبية) الحق إنك أفسدت على يومى كله .
- الرجل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندري .
- الشاب : وجئت إلى هذه البقعة الخالية النائية لأكشفك وأخرجك !
- الرجل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .
- الشاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجيء إلى هنا ؟
- الرجل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .
- الشاب : أتعجب الغروب ؟
- الرجل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .
- الشاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا ؟
- الرجل : أنا أحب الناس .
- الشاب : (بعد تردد واضح) هلا أخبرتنى عن خطوتك التالية ؟

الرجل : أما زلت على ريب منى ؟
الشاب : كلا ، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .
الرجل : الواقع إنى سرت طيلة اليوم على غير هدى وبلا خطة
موضوعة ، إنه يوم عطلتى .
الشاب : لا بد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .
الرجل : من طول خضوعى للتخطيط على مدى الأسبوع
فإنى أتحلل يوم العطلة من أى قيد .
الشاب : أما أنا فسأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حانة
« الأحمر والأبيض » .
الرجل : (بحماس مفاجئ) حانة النبيذ الفاخر والسلطة
الخضراء ! .. ما أجملها !
الشاب : هل تقرر الذهاب إليها ؟
الرجل : أعترف بأنك ذكرتى بمكان أحب الجلوس فيه !
الشاب : وبعد ذلك سأمضى إلى بيتى !
الرجل : من يدرى ، ربما توثقت العلاقة بيننا فى « الأحمر
والأبيض » فنمضى إلى البيت معا .
(يضحكان معا ، ثم يسود الصمت . يلتفت الشاب
إلى الناحية الأخرى فيعود الرجل إلى التطلع صوب
الأفق . الشاب يتمشى غير خال من القلق . يختلس
إلى ظهر الرجل النظرات ، ينظر فى ساعته ، يتضاعف
قلقه . تدخل فتاة جميلة متأقّة . ما إن ترى الشاب
حتى تهرع نحوه متهلة ولكنها تنسحب إلى وجود رجل

غريب فقتمالك مشاعرها وتلوح في وجهها خيبة .

الشاب يعضى بها إلى عَيْن الهضبه . يتبادلان قبلة (

الشاب : لسنا وحدنا .

الفتاة : ماذا يفعل ؟

الشاب : ينتظر الغروب !

الفتاة : الغروب ؟ !

الشاب : (متهمكا) أحب ساعات اليوم إليه .

الفتاة : هل تعرفه ؟

الشاب : كلا .

الفتاة : هل حادثته ؟

الشاب : نعم .

الفتاة : لم ؟

الشاب : الواقع إنه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .

الفتاة : (بدهشة) كيف ؟

الشاب : ظننته يتبعنى .

الفتاة : ما دام لم يفارقك طول اليوم .

الشاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرنى .

الفتاة : وهل صدقته ؟

الشاب : لم أكذبه .

الفتاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب ؟

الشاب : إنى ضنين باللقاء .

الفتاة : ولكن قلبى غير مطمئن .

الشاب : لعله ينتظر صديقة .

الفتاة : ليتها تجيء لتحل المشكلة من أساسها !
(يتبادلان قبلة طويلة)

الفتاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى من الهضبة) لم يفارقك
طول اليوم ؟

الشاب : بلى .

الفتاة : لنذهب .

الشاب : لماذا يتبعنى ؟

الفتاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الأمر بى ؟

الشاب : هل سبق لك أن رأيته ؟

الفتاة : لم ألمح إلا ظهره ، وبسرعة عابرة ، لم يذكرنى بأحد
أعرفه .

الشاب : لا داعى لكثرة الظنون .

الفتاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب .

الشاب : لنتنظر فإنى ضنين باللقاء .

الفتاة : أعترف لك بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .

الشاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره !

الفتاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .

الشاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبت بنواياه .

الفتاة : نواياه ؟ !

الشاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضمورها حقا .

الفتاة : ولكن كيف ؟

الشاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا .
(يتعاقبان وهما يتبادلان قبلة طويلة . يواصلان
العناق والقبل كأنما قد نسيا الآخر تماما . في أثناء
ذلك يجلس الآخر على الأرض كأنما اتعبته الوقفة ،
يمد ساقيه ويسند رأسه إلى حافة الهضبة . صوت
غراب ينطق . الشاب والفتاة يفيقان من سكرة
الحب . يتبادلان النظر في دهشة)

الفتاة : كم مضى من الوقت ؟
الشاب : لا أدري ، ولن أنظر في الساعة فما أحب أن أكدر
صفونا بالزمن .

الفتاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب ؟
الشاب : سيان عندي أن يذهب أو أن يبقى .
الفتاة : لا يند عنه صوت .
الشاب : لعله مات .

(صمت يتخلله تبادل قبل)

الشاب : من الحماسة أن أخافه .
الفتاة : ولكنك تجهله .
الشاب : هو على أى حال كهل وبوسعى أن أصرعه بكلمة
واحدة .

الفتاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضوري .
الشاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .
الفتاة : لعله ..

(وقبل أن تتم كلامها يترامى إليهما شخير منتظم
من ناحية الرجل . يتبادلان نظرة ذاهلة)

الفتاة : نام ؟

الشاب : لعله شخير رجل آخر .

(الشاب يعضى فى حذر شديد نحو الرجل . تتبعه
الفتاة . يلقيان عليه نظرة داهشة . الرجل يستيقظ
لدى وقوع نظرتيهما عليه كأنما رمى بطوبة . ينهض
بسرعة ويحرق فيهما بانزعاج وتحد معا)

الرجل : (متجهما) من أتما ؟.. ماذا تبغيان ؟

الشاب : لا مؤاخذه .. لم تقصد إزعاجك .

الرجل : (مستعيدا تذكره وهدوءه) آه .. أنت ..

(صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما)

الرجل : (باسما) وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى !

الشاب : أى أحداث ؟

الرجل : (ناظرا نحو الفتاة) كنت وحدك فيما أذكر !

الشاب : ثم لحقت بى خطيبتى !

الرجل : (مبديا دهشة سمجة) خطيبتك !

الشاب : (بحدّة) نعم خطيبتى !

الرجل : (بقحة) وكيف تجيء بخطيبتك إلى هذه البقعة

النائية المهجورة ؟

الشاب : (غاضبا) بأي حق تحاسبني على ما أفعل ؟

الرجل : (متراجعا) معذرة .. لم أسترد تفكيرى. السليم
بعد ..

(يهم الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع
باعتراض سبيلهما)

الرجل : متى نذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض » ؟

الشاب : نذهب ؟

الرجل : ألم تتفق على ذلك ؟

الشاب : كلا .. قلت لك إني ذاهب لا إنا ذاهبان ، وقد
عدلت عن قرارى .

الرجل : يا للخسارة !

الشاب : اذهب أنت إذا شئت ..

الرجل : لعلك ضحكت علىّ حين كنت تنتظر خطيبتك ؟

الشاب : لا داعى للأخذ والرد .

الرجل : وإذن فلم تقصد هذا المكان لتخرجنى كما قلت ؟

الشاب : لئن حديثا لا جدوى منه .

الرجل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة .

الشاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى .

الرجل : (راجعا إلى مكانه الأول) أتمنى لكما وقتا طيبا .

(الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى

الأفق . يعود الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين

الهضبة) .

الشاب : ها قد عدنا إلى الجنة .

الفتاة : ليتنا لم نغادرها .
الشاب : لعنة الله على الفضول .
الفتاة : دعنى أذهب .

(يضمها إلى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)
الشاب : ابتسمى .
الفتاة : يا له من رجل كريه .
الشاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود . فى أثناء ذلك
يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتها ويبدو
سعيدا بمشاهدتهما . ينتبهان إليه . انفصالان فى
ارتباك وانزعاج . الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الرجل : ما أجمل هذا .
الشاب : وقاحة .
الرجل : استمرا فى لعبكما الطريف .
الشاب : (محتدا) ماذا جاء بك ؟
الرجل : بالله لا تغضب .
الشاب : وقح .
الرجل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .
الشاب : ماذا جاء بك ؟
الرجل : أحب أن أرى الأشياء الطريفة .
الشاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .



الرجل : لقد تسليتما لتلقيا على نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفتاة : (وهي تهتم بالذهاب فيمسك الشاب بها) إني ذاهبة .

الرجل : (للفتاة) لا تذهبي ، لم أقصد إزعاجك .

الشاب : هذا سلوك غير لائق .

الرجل : بل هو طبيعي وجميل .

الشاب : اذهب .

الرجل : ألا ترى أنني أعرض مودتي بغير حساب ؟

الشاب : اذهب وإلا ..

الرجل : يجدر بك ألا تهددني .

الشاب : سأفعل أكثر من التهديد .

الرجل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .

الشاب : لك .

الرجل : ولك أيضا .

الشاب : لا تحملني على تأديبك وأنت في سن أب .

الرجل : لا تغتر بفوارق السن .

الفتاة : دعني أذهب .

الرجل : (الفتاة) محال أن تكدرى صفوك بسببي .

الفتاة : إذن فابتعد عنا .

الرجل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .

الشاب : أنت مجنون ؟

الرجل : أنا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك

إذا شئت .

الشاب : ماذا تعنى ؟
الرجل : (حانيا رأسه بأدب) دعنى أحل محلك وتفضل
بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك ..
(الفتاة تلطمه . الرجل يتلقى اللطمة باسم)
(صمت)

الفتاة : (هامسة الشاب) دعنى أذهب .
الشاب : (بعناد وكبرياء) كلا .
الفتاة : بل يجب أن أذهب فى الحال .
الشاب : (بإصرار) لن تذهبنى ..
(الرجل يتعد خطوات ، يتحسس خده مكان اللطمة
وهو ما يزال يتسسم)

الرجل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير ، ولكنى أتلقى
اللطومات أو كلمات أقسى من اللطومات ، لماذا ؟ ،
لماذا يصر الناس على الوهم والحماسة ؟ ، لم لا ينفون
على أرض الواقع ؟ ، كيف لا يفرقون بين العدو
والصديق ؟

الفتاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .
الشاب : لن تذهبنى ..
الفتاة : لا فائدة .
الشاب : ولكنك لن تذهبنى .

الرجل : (مستمرا فى مخاطبة الخلاء) المتعلم والامى فى
الجهالة سواء ، لم يسيئون الظن بى ؟ ، ماذا عليهم

لو استمروا في لهوهم أمام وجودي البريء ؟ ،
أحب مشاهدة الأفراح ، ولا عدو لي إلا الحماقة
والأنانية ..

الفتاة : (للشاب) إنه مجنون .

الشاب : ليكن .

الفتاة : إني خائفة .

الشاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الرجل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شيء

ثم يلقون بها في وجهي ، أهيم على وجهي باحثا عن

أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد ، الخلاء يشهد بأنني

ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة ..

الفتاة : إنه مجنون ، لن أبقى دقيقة أخرى .

(الفتاة تمضي نحو الخارج . الشاب يلحق بها

فيمسك بيدها)

الفتاة : لا بد من ذهابي .

الشاب : ولكن ..

الفتاة : لا تكرهني على البقاء .

الشاب : إذن فلا وصلك ..

الفتاة : (مانعة إياه يديها) ابق حتى لا يتبعنا .

(يتصافحان . تغادر المكان . الشاب يتبعها عينيه .

الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله)

- الرجل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف .
(الشاب يصر على تجاهله)
- الرجل : أى نحس يفسد على " مطالبى البريئة ؟
(الشاب يتمشى والرجل يتبعه كظله)
- الرجل : أكرر الأسف من كل قلبى .
- الشاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك ؟
- الرجل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس !
- الشاب : أتسخر منى ؟
- الرجل : صدقنى فيما أقول ، بيد أنى رجل سيىء الحظ .
- الشاب : لقد ضيعت على " ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء .
- الرجل : أنا ؟
- الشاب : دون غيرك .
- الرجل : كلما سعيت إلى إنسان بقلب مفتوح رميت بهذه التهمة .
- الشاب : يخيل إلى أنك ذو تاريخ قديم فى النحس .
- الرجل : لا ذنب لى على الإطلاق .
- (الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر)
- الرجل : أود أن تؤمن ببراءتى ..
- الشاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نفسك ؟
- الرجل : فرصة طيبة للحديث والتعارف .
- (الشاب يقطب ثم يسود صمت)

- الرجل : افتح لى صدرك .
- الشاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت ؟
- الرجل : (باسم) بصراحة نعم .
- الشاب : إذن كذبت على ؟
- الرجل : بسبب نحسى المزمى أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .
- الشاب : أكنت تعرفنى ؟
- الرجل : كلا .
- الشاب : لم تبعتنى ؟
- الرجل : إنى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .
- الشاب : أيا كان ؟
- الرجل : أيا كان .
- الشاب : كل يوم ؟
- الرجل : كل يوم .
- الشاب : أليس لك عمل فى الحياة ؟
- الرجل : لست فى حاجة إلى عمل .
- الشاب : ثرى ؟
- الرجل : موفور الإيراد .
- الشاب : وما قصدك من مطاردتى ؟
- الرجل : أتصيد لحظة للتعارف .

الشباب : أليس لك أصدقاء ؟

(صمت)

الرجل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس !

الشباب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ

العائر الذي لازمني طيلة يومى .

الرجل : لا تكن كالآخرين .

الشباب : فى ميدان القلعة زلت قدمى فوقعت على ركبتى .

الرجل : (باسم) كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة !

الشباب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .

الرجل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق !

الشباب : وفى مقهى الشمس خسرت تقودى .

الرجل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .

الشباب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة

الثانية .

الرجل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .

الشباب : وأخيرا أفسدت على أجمل ثمرة فى يومى .

الرجل : ألم توقظنى من النوم بنفسك ؟

(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)

الشباب : أليس لك أصدقاء ؟

الرجل : (متنهدا) كلا .

الشباب : ألسنت رب أسرة ؟

الرجل : جربت حفلى مرات ولكنى لم أوفق !

الشباب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذه .
الرجل : العفو .
الشباب : أظن آن لى أن أذهب .
الرجل : (بتوسل) كلا .
الشباب : ليس ثمة ما يدعونى إلى البقاء .
الرجل : فلنشهد الغروب معا .
الشباب : لا أحب الغروب .
الرجل : ثم نذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض » .
الشباب : لن أذهب .
الرجل : إذا كنت مفلسا فلا يهملك .
الشباب : لن أذهب .
الرجل : تكره مرافقتى ؟
الشباب : نعم .
الرجل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك .
الشباب : (محتدا) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب !
الرجل : أقلع عن ترديد الخرافات .
الشباب : اقلع أنت عن نحسك .
الرجل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعة الغروب فحسب .
الشباب : وداعا .

(الشباب يمضى صوب الخارج بعزم وصرامة .
الآخر ينظر إليه بأسف . عند منتصف المسافة يتوقف
الشباب فجأة ويعلو صوته بالتأوه ثم ينحنى قابضا

بيديه على ركبته . الرجل يلحق به متسائلا (

الرجل : مالك ؟

الشباب : ركبتى !

الرجل : مد ساقك ، دلکها .

الشباب : نار .. نار موقدة ..

(يشب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل

الهضبة . يمد ساقه السليسة ويثنى الأخرى ثم يتأوه

من الأعماق) .

الرجل : ماذا حدث ؟.. كنت فى غاية الصحة ..

الشباب : الحق إنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا ..

الرجل : لكنك لم تشك طيلة الوقت .

الشباب : كان يعاودنى ألم خفيف فظننته عابرا .

الرجل : حال طارئة لا تلبث أن تزول .

الشباب : لعل وعسى .

الرجل : من المفيد أن تدلكها .

الشباب : لا أستطيع لمسها ..

الرجل : حال بسيطة فيما أعتقد .

الشباب : (متأوها) قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور .

الرجل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك .

الشباب : صدقنى فإن الحال خطيرة حقا .

الرجل : أرجو أن تكون واهما ..

الشباب : أريد إسعافا عاجلا ..

الرجل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف .
الشاب : وتعود بسرعة من فضلك !
الرجل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة .
الشاب : (بقلق) لا تتركنى وحدى طويلا .
الرجل : ماذا تخاف ؟
الشاب : المساء قريب ، وهذه بقعة غير مأمونة للإنسان عاجز .
الرجل : وما الحل ؟
الشاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك ؟
الرجل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه ، جرب أن تسير على مهل .
الشاب : الحال أخطر مما تتصور .
الرجل : لا بد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب !
الشاب : ولكنك لن تتركنى وحدى !
الرجل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعفنى بحل .
(صمت وتأوه)
الشاب : ولكنك لن تفعل ذلك .
الرجل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى ما شاء الله ولكنى سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة .
(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة)
الرجل : سأفعل من أجلك ما لا تنتظره من رجل لا تعرفه ولا يعرفك .

الشاب : (بحياء) حدثنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك
فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد .

الرجل : (بشيء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى !

الشاب : اغفر لى غضبى الأحمق !

الرجل : الحق إنك كرهتنى طوال الوقت .

الشاب : الإنسان عدو ما يجهله ولكنى سأعرفك من خلال
سلوكك النبيل .

الرجل : (بنبرة لم يعد بها أثر من الرقة القديمة) لا أقبل
اصطياد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة .

الشاب : (بضراعة) ولكنك إنسان كبير القلب .

الرجل : أول كلمة طيبة أسمعها منك .

(صمت)

الشاب : ماذا تنوى أن تفعل ؟

الرجل : سأشاهد المغيب ثم أذهب .

الشاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل ؟

الرجل : لا حيلة لى فى ذلك .

الشاب : سيكون سلوكا غير إنسانى .

الرجل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاثام
واللعنة !

(الشاب يتأوه)

الرجل : أنا الذى خلقت النحاس حقا ؟

(الشاب يتأوه)

الرجل : كيف تعاملون التربي ؟ .. إنه يوارى جثثكم في
التراب ، يصون كرامتكم ، يعرض نفسه لألوان
شتى من المخاطر ، ويستحق في أحاديثكم التقليدية
الجنة بغير حساب ، ولكنه لا يسعد في حياته بصديق
واحد ، ويمضى وحيدا كالوباء ..

الشاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا .

الرجل : كم صددتني ، كم أهنتني ، ولم تصدق أنني إنسان
إلا بعد إصابتك و قبيل الغروب .

الشاب : يا لسوء حظي !

الرجل : ها أنت تعود إلى اتهامي .

الشاب : لم أقصد هذا ألبتة .

الرجل : ألسن النحس الذي سلبك المال والحب والصحة ؟

الشاب : سيدي !

الرجل : أين فتاتك ؟

الشاب : لا سبيل إليها الآن .

الرجل : أليست هي أولى بتمريضك مني ؟

الشاب : إنها لا تعلم بما حل بي .

الرجل : زهدت لوجودي في وصالك نفسه .

الشاب : (متأوها) أريد إسعافا .

الرجل : سأتلفن للإسعاف في طريق العودة .

الشاب : لا تتركني .

الرجل : (متأففا) إنك مزعج في مرضك كما كنت مزعجا في صحتك .

الشاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض ؟

الرجل : ألا ترى كم أنهكنى السير ؟

(صمت)

الشاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية ؟

الرجل : لا خبرة لى بشيء .

الشاب : ولكنك في سن الحكمة والخبرة .

الرجل : أعرف كيف أسير على غير هدى ، وأعرف كيف

أسير في أعقاب إنسان أحمق ، وأعرف كيف آمل

دواما في علاقة لا تتحقق أبدا .

الشاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب .

الرجل : سأذهب عندما يجب الذهاب .

الشاب : لا تذهب .

الرجل : اعتدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب في البقاء وأن

يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(الشاب يتأوه . جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء .

الرجل يعضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس

(الغاربة)

الشاب : لا تباعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .

الرجل : صه ، لا تكدر صفو الساعة ، الساعة الفريدة ،

الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس ، الوحيدة

التي تنظر فيها إلى الشمس دون أن تصاب بالعمى ،
الوحيدة التي يرى فيها الظلام وهو يزحف ، الوحيدة
التي أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات ، ها هي
الشمس ، ها هي الشمس تختفي تماما ..
(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو
إليه دقيقة)

الرجل : الوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشاب : لا تذهب .

(يواصل السير غير ملتفت إليه)

الشاب : أستحلفك بالله .

(يواصل سيره)

الشاب : انتظر .. انتظر ..

(الرجل يختفي)

الشاب : عليك اللعنة .

(الشاب ينظر فيما حوله بخوف . الظلام يهبط

رويدا حتى يختفي كل شيء ..)

(تمر فترة صمت على تلك الحال)

(ثم تتراعى أضواء من وراء الهضبة . ويسمع وقع

أقدام قادمة . من يمين الهضبة ومن يسارها يجيء

رجلان حاملين مشعلين ، يرتدى كل منهما سروالا

وصيدارا أحمرين . يقفان على مبعدة من الشاب إلى

اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت .
يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا في النوم .
ثم يتبعهما رجلان في أردية سوداء يحمل كل منهما
سوطا وحبلًا معقودا . يقفان عن يمين الشاب ويساره
وهما يحملقان في وجهه . يوثقان يديه وقدميه
بإحكام ثم يعودان إلى وقفتهما ممعنين فيه النظر .
الشاب يفتح عينيه . ينظر إلى الأمام في ذهول . يهم
بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال . ثم ينتبه إلى
وجود الرجال الأربعة . يردد عينيه بينهم في دهشة
(ووجل)

الشاب : من أنتم ؟ .. وماذا تريدون ؟
الرجل ١ : (للرجل رقم ٢ في تهكم) إله لا يعرفنا !
الرجل ٢ : (في تهكم أيضا) طبعا .. إنه يرانا لأول مرة .
الرجل ١ : (للشاب) أليس كذلك أيها المخادع المارق !
الرجل ٢ : أنت لا تعرفنا ، هه ؟
الشاب : آسف ، لم أكن أفقت من النوم بعد .

(يركلانه بقدميهما فيصرخ)

الشاب : الرحمة ..
الرجل ١ : (ضاحكا) ابن الأبالسة يطلب الرحمة !
الشاب : لا تحكموا علىّ بالظواهر ، أنا برىء ..
الرجل ٢ : نفس الكلمات ، لا جديد ، نفس الأكاذيب العفنة !
الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد .

- الرجل ١ : الزمن ، الزمن ، ذلك المتهم الوهمى .
الشاب : الرحمة .
الرجل ٢ : الرحمة ؟ !
الشاب : العدل .
الرجل ١ : لا يدري ماذا يطلب .
الشاب : الرحمة والعدل .
الرجل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل ؟
الشاب : الرحمة والعدل .
الرجل ١ : لا تكن طماعا .
الرجل ٢ : نحن لا نعطي عادة إلا الموت .
الرجل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان .
الشاب : ولم لا يجتمعان ؟

(يركلانه مرة ثانية فيصرخ)

- الرجل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن
تعامل بالرحمة في الوقت نفسه ؟ !
الرجل ٢ : حدد أفكارك عما تريد ، العدل أم الرحمة ؟
الرجل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة ؟
الشاب : الرحمة ، لعل الرحمة هي ما أريد ..
الرجل ١ : ألسنت على يقين مما تريد ؟
الشاب : لست على يقين من شيء ، لقد أنهكنى التعب .
الرجل ٢ : ألم تبده الوقت بغير حساب ؟

الشاب : يلزمنى شيء من الراحة لأحسن الإجابة ، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية .

الرجل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد !

الرجل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة !

الشاب : أليست جميعها أخوات لا يفرقن ؟

الرجل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة !

الرجل ٢ : استمر في الطلب إلى غير نهاية ، وبلا حياء ، ماذا

تريد أيضا ؟ ، ثروة ؟ ، صحة ؟ ، جاه ؟ ، ما رأيك

في الحب ؟ ، الذرية ؟ ، طاقة الإخفاء ؟ ، جناحين

للطيران ؟ ، هرمونات لتجديد الشباب ؟ ، مهضومات

وملينات ومسهلات ؟ ، فاتحات شهية ؟ ، جواز سفر

إلى جميع البلدان ؟ ، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : بعض الرفق ، نحن إخوة !

الرجل ١ : إخوة ! ، من ناحية الأب أم من ناحية الأم ؟

الشاب : أعنى أئنا جميعا بشر .

الرجل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية ، هه ؟ ، ولأنك تتكون

من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف

تحاول استغلال الكون كله ، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : إننى متألم فكوا قيودى .

الرجل ٢ : تريد الحرية ؟

الرجل ١ : إن كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التي تقتلك بها .

الشاب : لا تسخروا مني ، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة !

الرجل ١ : كذبت ، كل واحدة منها تستورد من بلد غير البلد التي تستورد منه الأخرى .

الرجل ٢ : ويؤدي ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الشاب : إني متألم لحد العجز .

الرجل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة ؟

الرجل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الرجل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الرجل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق ، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق ، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التي تفضلها !

الرجل ١ : ماذا تريد ؟ ، تكلم بوضوح وصراحة ، العدل أم هرمونات تجديد الشباب ؟ ، الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان ؟ ، الحرية أم أملاح الفواكه الفوارة ؟ ، ما طريقة القتل المفضلة لديك ؟ ، ألك وصية فيما يتعلق بجثتك ؟ .. أترغب في دفنها ؟ ، في حرقها ؟ ، في تركها في الخلاء ؟ ، في شحنها إلى بلد معين ؟

الرجل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التي يتكون منها

جسدك ؟ ، أن تتركها للديدان ؟ ، أن نهبها للجمعية

الطبية ؟ أن نصنع منها قنابل مدمرة ؟

الشاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : لقد بددت وقتنا سدى ، ألهذا أرسلناك ؟

الشاب : أرسلتموني ؟! ، متى كان ذلك ؟ ، لم يرسلنى أحد !

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع ! .

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : أحقا لم يرسلك أحد ؟

الشاب : معذرة ، ضعفت ذاكرتى من المرض والإرهاك ،

معذرة .

الرجل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة الى كلفت بها ؟

الشاب : المهمة ؟ !

الرجل ٢ : المهمة التى كلفت بها !

الشاب : أى مهمة ؟

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع !

(يضربه بالسوط . الشاب يصرخ)

الرجل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك ؟

الشاب : أقمم صادقون وأنا معذور ، الزحام هناك شديد ،

والأصوات مزعجة ، وعملى اليومى استغرق جل

وقتى .

الرجل ١ : وما غملك اليومى ؟

- الشاب : مدرس تاريخ .
- الرجل ٢ : حدثنا عن دروسك ، ماذا فعل الإنسان القديم ؟
- الشاب : اكتشف الزراعة ، صنع التقويم ، بنى الأهرام ،
هزم وانهزم ..
- الرجل ١ : ألم يذكرك شيء من ذلك بمهمتك ؟
- الشاب : كنت مستغرقا طوال الوقت .
- الرجل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس ؟
- (الشاب يصمت . الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ
متوجعا)
- الرجل ٢ : اعترف ..
- الشاب : اللعنة على ذاكرة لا تسعف صاحبها بما يجب أن
تذكره .
- الرجل ١ : كذاب .
- الرجل ٢ : اعترف بأنك تجنببت ذكر ما يجز عليك المتاعب .
- الرجل ١ : مخادع جبان .
- الشاب : جربوني مرة أخرى !
- الرجل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .
- الشاب : أعطوني رسالة مكتوبة كيلا أنسى .
- الرجل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التي تواجهك ؟
- الشاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .
- (الرجل ٢ يضربه بالسوط ، الشاب يصرخ)

الرجل ١ : ماذا فعلت بيومك الطويل ؟ ، لم قصدت ميدان القلعة ؟

الشاب : كنت أسير على غير هدى .

الرجل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسل إلى هناك إلا لمهمة ؟

الشاب : كان اليوم عطلة .

الرجل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئاً يذكرك بمهمتك ؟

الشاب : زلت قدمي فوقعت على ركبتى .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الرجل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشيء ؟ ، ولا المقهى ؟ ، ولا دار

الآثار ؟ ، ولا صالة المزاد ؟ ، ولا عيادة الطبيب ؟ .

(الشاب نصمت فى يأس)

الرجل ٢ : وماذا جاء بك إلى الخلاء ؟

الشاب : فتاة .

الرجل ٤ : ولم اخترت للقاء مكاناً هو أصلح لدفن الموتى ؟

(صمت)

الرجل ٢ : ألم يذكرك اللقاء بشيء عن مهمتك ؟

الشاب : ثمة رجل كرهه كان يتبعنى طوال الوقت فشئت

فكرى .

الرجل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكرك بشيء !

الشاب : هو النخس نفسه ، وقد أفسد كل شيء .

(الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

- الرجل ١ : ضيقت وقتك ووقتنا يا جبان .
الرجل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .
الرجل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .
الشاب : ما تلقيت تحذيرا قط .
الرجل ١ : كذاب غبي أعمى .
الشاب : الرحمة !
الرجل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية ؟
الرجل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب ؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا)
(الرجل ١ يشير إشارة خاصة إلى الرجلين
حامل المشعلين . الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان
إلى مكانهما الأول وراء الهضبة)

حامل المشعل : (مخاطبا الشاب) لم تحنّ أسراب الطيور
المهاجرة إلى أعشاشها التي تركتها في الجبل ؟

(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)
حامل المشعل : تذكر أن الطفل يبكي حين تنحيه أمه عن ثديها
الأيمن ولكنه يجد في اللحظة التالية سلواه في
ثديها الأيسر .

(يمضي حامل المشعلين في مشية متمهلة والآخر
يتبعه حاملا الشاب بين يديه)
(ستار)

فهرس

صفحة

قصص قصيرة :

١	- تحت المظلة	٣
٢	- النوم	١٧
٣	- الظلام	٣٣
٤	- الوجه الآخر	٤٧
٥	- الحماوى خطف الطبق	٦٥
٦	- ثلاثة ايام في اليمن	٨١

مسرحيات من فصل واحد :

٧	- يميت ويحيى	١٢٩
٨	- التركة	١٦٩
٩	- النجاة	٢٠٧
١٠	- مشروع للمناقشة	٢٤٣
١١	- المهنة	٢٨٥

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

الطبعة الاولى

مصر القديمة (مترجم عن الانجليزية) ١٩٣٢		
همس الجنون	مجموعة اقصيص ١٩٣٨	الطبعة السابعة ١٩٧٠
عبث الاقدار	قصة تاريخية ١٩٣٩	» السادسة ١٩٦٩
رادوبيس	قصة تاريخية ١٩٤٣	» السادسة ١٩٦٧
كفاح طيبة	قصة تاريخية ١٩٤٤	» السادسة ١٩٦٧
القاهرة الجديدة	١٩٤٥	» السابعة ١٩٦٧
خان الخليلي	١٩٤٦	» السادسة ١٩٦٥
زقاق المدق	١٩٤٧	» السادسة ١٩٦٥
السراب	١٩٤٨	» السابعة ١٩٧٠
بداية ونهاية	١٩٤٩	» الثامنة ١٩٧٠
بين القصرين	١٩٥٧	» السابعة ١٩٧٠
قصر الشوق	١٩٥٦	» السابعة ١٩٧٠
السيكريد	١٩٥٧	» السادسة ١٩٦٧
الرص والكلاب	١٩٦١	» الخامسة ١٩٧٠
السمان والخريف	١٩٦٢	» الرابعة ١٩٦٧
دنيا الله	قصص قصيرة ١٩٦٣	» الثانية ١٩٦٦
الطريق	رواية ١٩٦٤	» الثالثة ١٩٦٧
بيت سيء السمعة	قصص قصيرة ١٩٦٥	» الثانية ١٩٦٦
الشحاذ	رواية ١٩٦٥	» الثانية ١٩٦٦
ثرثرة فوق النيل	رواية ١٩٦٦	» الثانية ١٩٦٧
ميرامار	رواية ١٩٦٧	» الثانية ١٩٧٠
خمارة القط الاسود	قصص قصيرة ١٩٦٩	» الثانية ١٩٧١
تحت المظلة	قصص قصيرة ١٩٦٩	» الثانية ١٩٧١

دار مصر للطباعة

٣٧ شارع كامل صديق

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البجالة

Bibliotheca Alexandrina



C665983



الشمس

دار مصر للطباعة